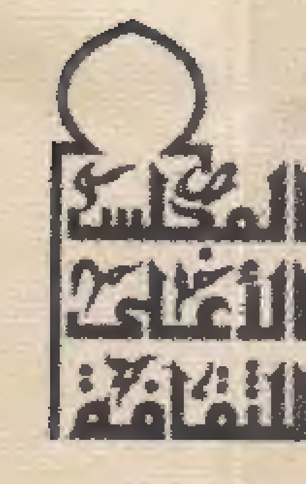
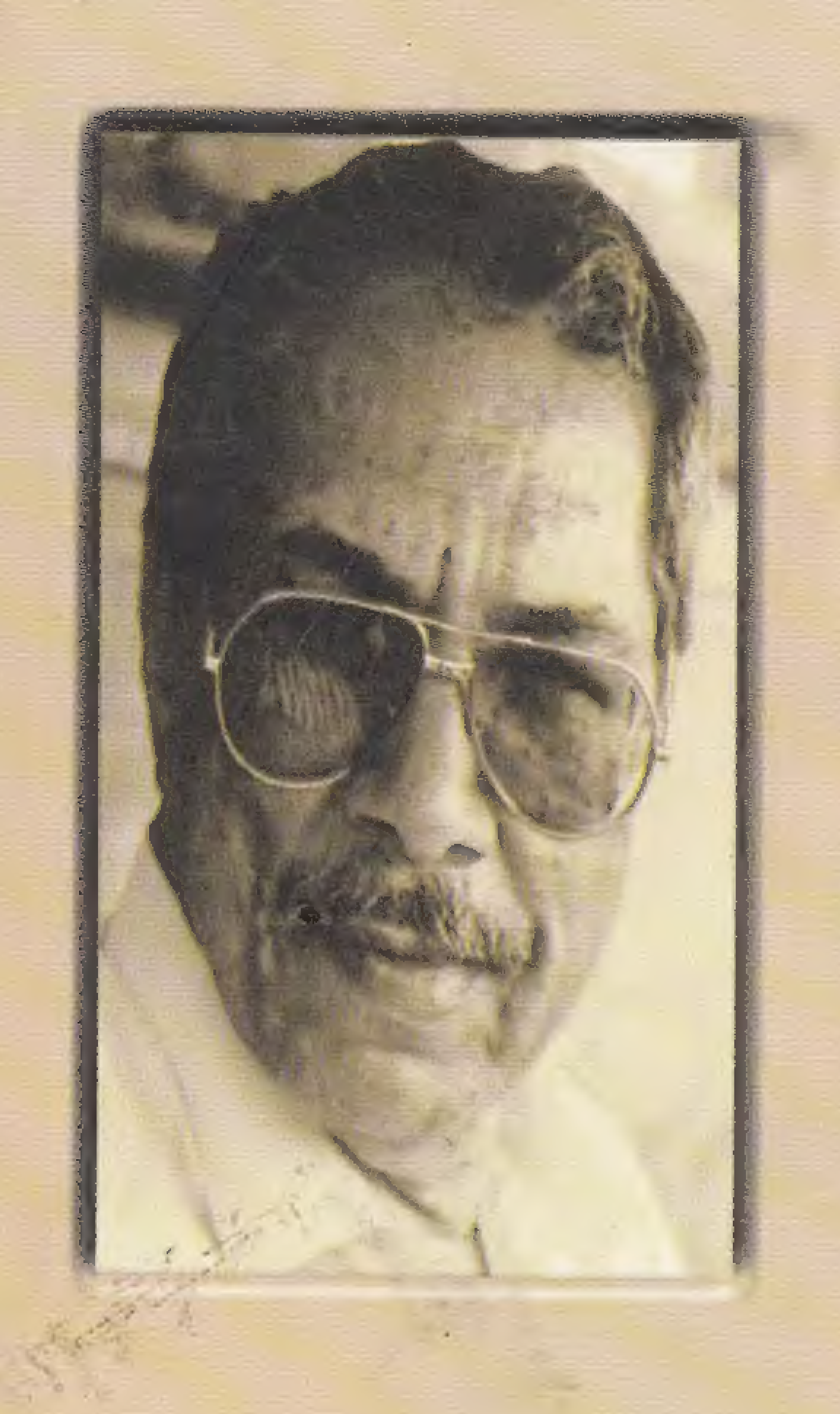




مختارات عبده بدوى

إعداد

محمد عبده بدوى

المجلس الأعلى للثقافة

مختارات عبده بدوى

إعداد

محمد عبده بدوى



٢٠١٠

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بدوى ، محمد عبده.

مختارات عبده بدوى / إعداد : محمد عبده بدوى

القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط ١ ، ٢٠١٠ .

٢٩٦ ص ٢٤ سم

١ - الشعر العربي - تاريخ - العصر الحديث

(أ) العنوان ٨١١,٩

رقم الإيداع ٢٠١٠/٥٢٧٨
الترقيم الدولى 6 - 950 - 479 - 978-977
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الأفكار التى تتضمنها إصدارات المجلس الأعلى للثقافة هى اجتهادات أصحابها، ولا تعبِّر بالضرورة عن رأى المجلس.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٢٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٢٧٣٥٨٠٨٤ .

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo.

Tel. : 27352396 **Fax :** 27358084.

www.scc.gov.eg

الفهــرس

من ديوان «دقات فوق الليل» (١٩٧٧)

من ديوان «الجرح الأخير» (١٩٨٦)

من ديوان «هجرة شاعر» (١٩٨٨)

من ديوان «الغربة والاغتراب والشعر» (١٩٩٨)

مقدمة

(١)

رحلة مع الشعر

١ - كانت فكرة الموت هى المسيطرة على قرية الشاعر، فقد كانت مستغرقة فى النوم والعدم، ولا شىء يقلقها سوى طلقة رصاص تودى برجل، ومن هنا يكون الصراخ المكتوم والندب فترة، ثم ينتهى الأمر، وكأنَّ شيئًا لم يكن .. أما النساء فيكون الإعدام بالسم، وتنتهى المأساة من غير صراخ أو تعديد!

وفى بيتنا يكون شىء غريب، فالأب يرزق بخمس بنات يعشن، وأربعة ذكور ما يكاد الواحد يبلغ سن العشرين، حتى تكون الوفاة، ومن هنا يكون التفكير فى الزوجة الثانية وأجىء، وما يكاد الفرح يرفرف على الدار، حتى تكون وفاة الأب، ومشاهدة أزواج البنات فى اقتسام الميراث، وكيف أن الزوجة الأولى أحضرتْ سمًا وأغرتْ به الطفل الذى كان يلعب مع فتاة جارة، وحين طلبت الطفلة إحضار « كوز » من الماء لتذويب هذا الشىء، أسرع فى الدخول، وحين خرج وفى يده « الكوز » وجدها فارقت الروح، واستمرت فكرة الموت ماثلة - مع موت الإخوة فى سن العشرين. فى ذهن هذا الإنسان !

ومع ذلك فقد عوضته الطبيعة عن هذه الفكرة، فقد تحولت المزارع إلى فساتين من السندس، والترعة إلى شريط من الفضَّة، والمغرب إلى وردة من الذهب، أمَّا الظهيرة فكانت - كما قال المتنبى - دنانير تفرُّ من البنان !

ثم إن أقرباءه كانوا يعيشون فى مناخ قرآنى، ويعدون للدخول فى المعاهد الأزهرية، وأسرة العمدة لا يجدى التعليم المدنى مع أبنائها، والأقرباء لا يحبون أن يكون

هذا اليتيم واحداً مثلهم، ومن هنا يقترح أن يتعلم فى التعليم المتوسط، ولكن الأم تتدخَّل وتطلب أن يكون مثلهم، ويفشل فى الالتحاق بمعهد الإسكندرية، ويكون نجاحه فى العام التالى فى معهد دسوق، وفى هذا المعهد يتعرف على الشعر، ويصل به إلى رئاسة لجنة الطلبة، وفى الإجازات كان يصل إلى قطار الدلتا ليتعرف على مكتبة البلدية بدمنهور ليقرأ ساعة، وفى هذه الساعة تعرَّف على الشعر المهجرى، قبل الاهتمام بعلى محمود طه، وإبراهيم ناجى، ومحمود حسن إسماعيل، على وجه الخصوص .

ويكون الالتحاق بالمعهد الثانوى بالإسكندرية، ويكون التعثر بالدراسة لأنه فى هذه الفترة يخطب لقريبة له، فلما راوغ فى الخطبة خطبت لغيره، وحين غضبت أمه قالوا : « فليكتب الكتاب »، وتم هذا بالأمر، وفى هذه الفترة كان النجم الساطع مع صالح الشرنوبى فى برنامج « براعم الشعر » لصالح جودت، وكتب قصة فكانت الأولى فى مجلة « الأمانة » وفى مرة سافر إلى القاهرة مع قريب له، فوجد الطلبة يهتمون فى كلية الشريعة بهذا القريب، ويلقبونه بالشاعر، وكنت أنا الذى أكتب له فى المناسبات، وفى أخرى كنت أقرأ قصيدة فى جريدة الأهرام باستغراق عن سقوط باريس، فإذا بولى أمره يقول له « عاوز تكون عبده بك أمير الشعراء .. يا أخى اتنيل » ومن هنا اشتد عزمى على أن أكون شاعراً، وفى هذه الفترة اشتعل قلبى بالحب، فقد كان للخطيبة قريبة ذات ثقافة فرنسية، ولها صلة بالقرية المجاورة، وكان أن علق قلبى بها، ولا أنسى أول بيت حَفَرْته على باب حجرتها وهو :

إن غبتِ عنى إنك يا وَحْىَ شعرى فى القلوب

كما أن جريدة « البصير » نشرتْ لى بعض الأبيات، وعرفت الطريق إلى إذاعة الشرق الأدنى، وإلى جمعية الشبان المسلمين، ومكتب مصر الفتاة، وكما عرفت الدور الثانى فى مادتى حفظ القرآن والبلاغة، اشتريت دواوين المتنبى والبحترى ونزار قبانى، وقد أذاعت لي محطة الشرق الأدنى قصيدة بعنوان « أنا » فى ١٩٤٩/٤/٢٧ م

أنا لا أسيرُ على التراب ، وإنما نَحو السحاب
فكراً يُجَاهدُ للوصول ، إلى الإله
على الضباب
أنا لا تضمَّنىَ الحواجزُ حين تشمخُ والسدُود
فلهم وجود حدَّدوه ، وليس لى أبداً حدود
أنا لستُ فرداً فاحتَسبنْى أُمَّة بين الخريف
فعلى فؤادى ضَجَّةُ الشعب المطالب بالرَّغيف
أنا نغمةُ العــود الــذى قدْ حطَّمته يدٌ قوية
فتردَّدتْ مخنوقة من بين أنغام شجية ، إلخ

وأذيعت الربيع فى ١٩٤٨/٨/٤م

علتْ فى الجــوّ رائحــة الحنين — وغنَّى الطيرُ من فوق الغصُون
وأيْقَظت النسَّــائم كلَّ قلبٍ — غَــفــا بين الضُّلوع على أنين
ومالَ الغُصنُ يَحْنو فوق غُصْنٍ — كمـا يحنو الحـزين على الحـزين
تَمــتَّع فى الربيع بكلّ حُــسنٍ — فــإن العــمـرَ مــحـدود السَّنين
تعَالَ معى لتُبْصر كيف يَسْرى — شُعاع الشمس فى عنَب الكروم
وبالغْ حـول كـأسك بالأغـانى — مَـخـافـةَ أنْ تَطيـر مع النّسـيم
وخَففْ فى المسـيـر فكلُّ أَرضٍ — بـهـا حُــسْنٌ تَخلّف من قــديم
حــرامٌ أن تـهــانَ وقــد تراءتْ — ظبـاءُ الحّى فى عَــدد النّجــوم

وبلغ ما أذعت فى هذه المحطة عشرين قصيدة، وهناك ديوان فى الوطنية، وبخاصة فى فترات الإبعاد عن الدراسة، فقد كان يكفينى القول :

إذا كان إبْعادى عن الدَّرس مُسْعِدٌ — لشعبى ، فأَهْلاً بالبِعادِ عَنِ الدرس

وفى القاهرة يكون التحاقى بكلية دار العلوم، بعد امتحان عسير شفوياً وتحريرياً، ولما كان لكل كلية لجنة تتم بانتخاب أصبحت عضواً على مستوى الكلية ثم على مستوى الجامعة، وتصوَّرْتُ القاهرة تغص بالصالونات والندوات، ومن ثم كان إقبالى على الجمعية الأدبية المصرية وتعرفت على الأستاذ محمد فريد أبو حديد، ورابطة الأدب الحديث وتعرفْتُ على الأستاذ مصطفى السحرتى، وعلى ندوة خالد الجرنوسى، وندوة كامل السوافيرى، واشتركت فى مسابقة القصَّة على مستوى الجامعة وكان ترتيبى الأول، وتعرَفت على الكاتب عبد الرحمن الخميسى فنشر لى شعراً فى جريدة المصرى - ثم شجَّعنى سعد مكاوى وعبد الرحمن الشرقاوى - كما أعطانى أكثر من فرصة للكتابة فى عموده « من الأعماق »، وتعرفت على الملحن أحمد عبد القادر، وقدمت له عدداً من القصائد فقدمها للإذاعة لحناً وأداء، ثم الملحن عبد العظيم محمد . وتوثَّقت صلتى بالأستاذ فتحى رضوان الذى كان ابنه تلميذاً لى، وكان عندى ميل للحزب الوطنى، وذهبت إلى البعثة المصرية فى السودان للتعليم، وكان أن جمعتُ مادة الماجستير، وتعرفت على شعرائه، وكان لى إسهام فى الإذاعة، وبعد ثلاث سنوات كتبت للأستاذ فتحى رضوان بهذا، وأننى أريد العودة إلى القاهرة فكتب لى أنه طلب من الأستاذ كمال الدين حسين نقْلى إلى وزارته، وكانت عودة مسعدة، والتحاقى بالإدارة الثقافية، ولم تمض إلا أسابيع حتى كنت محولاً للتحقيق، لأننى كتبت مذكرة للوزير تطالب بإصدار مجلة للشعر عام ١٩٥٨، فحُوِّلت لمدير الإدارة الذى حولها لوكيلها، فاقترح إحالتى للتحقيق لأننى خاطبتُ الوزير رأساً، وحين سوّى الأمر أُسندَت إلى نشرة باسم « نهضة إفريقية » مُتَخصِّصة فى الشئون الإفريقية، وسرعان ما حوَّلتها إلىَّ مجلة تهتم بالأدب والفن، وبخاصة التعريف بالشعر عربياً وإفريقيا، كما كان فى يدى اليمنى ديوانى « شعبى المنتصر » سنة ١٩٥٨ الذى طلبت من الوزير كتابة مقدمته، فكان أن رحَّب، وكتب مقدمة مُشرفة، وكما أخذ علىَّ الأخيلة المسرفة فى ابتكار الأوصاف والنعوت، أضاف أننى أتطور فأنتقل من التَّجارب الخاصَّة التى هى صَدى الانطواء على النَّفس، والخوف من المجتمع، إلى التَّجارب الإنسانية التى تتمثَّل فى التعبير عن القومية وآلام المجتمع كله .

ويزداد تحمُّسى للشعر فأكتب ديوانى الثانى « باقة نور » عام ١٩٦٠ ، ويرحب الدكتور محمد مندور بكتابة المقدمة، ويناقش الأستاذ فتحى رضوان فيقول « .. وأمَّا عن قصائد الوجدان الذاتى الذى رأى فيها الأستاذ فتحى رضوان دليل الانطواء على النفس . فلست أرى فيها هذا الرأى، ولا أريد أن نسلب الشاعر حقه فى أن يتغنىَ بآلامه وأفراحه الخاصَّة»، ثم يقول « إن الشاعر أخذت آفاقه الإنسانية تزْدادُ اتساعًا، فلا تشمل وطنه وحده، بل تمتد لتشمل جميع الأوطان المكافحة فى قارتنا الإفريقية، كما أنَّ طُرق أدائه قد أخذت تتنوَّع، فتتخذُ صورة الحوار حينًا، والبيان الشعرى حينًا آخر، كما تجمع بين الوجدان والمْوضوع، وبين الواقعية والرمزية فى انسجام مُوفَّق يُبشر بمزيد من الكمال الشعرى ولا أنسى أننى قرأت عليه الديوان فى المساء « بمنشية الرَّوضة »، وفى الصباح جاء بالمقدمة إلى مكْتبى، ولا أنسى قوله وأنا أودِّعه « يا ولاد الإيه . قَصْر عابدين، وحديقة ليس لها حدود، ما هذا ؟ سرْ بى فى هذا البستان الملكى » .

ويجىء دورُ الديوان الثالث « لا مكان للقمر » سنة ١٩٦٦، ويفد إلى ذهنى أن يكتب الأستاذ عباس محمود العقاد المقدمة، وأحدثه فى هذا فى ردهات وزارة الثقافة فيعدنى بانشراح صدر، وحين حملتُ إليه أصول الديوان من المطبعة، قال : أنا مشغول يا مولانا، وحين ذكرَّته بالوعد قال : الوعد يتجدد بتجدُّد ظروفه، وأشاح بوجْهِه عنى فقلت منفعلاً : كان ما بيننا وعداً لاً وعيداً، وقد أنصف العرب حين فرقوا بين الوعد والوعيد، وفجأة وجدت من قفز بيننا ويدوس على قدمى بحذائه الكبير جداً، ويقول : انتهت المناقشة، ويا حبذا لو غادرت الندوة التى أفسدتها اليوم، ومع أننى غادرتها إلا أن خطواتى إليها لم تنقطع، وفى مرة حدثنى ابن أخيه عامر أن الأستاذ يسحب من البنك على المكشوف فاقترحت عليه أن يكتب مقالاً لمجلة نهضة إفريقية التى أشرف عليها، وفى اليوم التالى سلمنى مقالاً مكتوباً بالقلم البسط بعنوان « من معالم الشعر العربى » وهنا كان المأزق فالمجلة متخصصة، ومن هنا سلمت المقال للمترجم السودانى محمد صفوت، وحملته للأستاذ لنشره فى القسم الأجنبى بالمجلة، فوافق وقال : أحس أن فى الأمر شيئًا ما، وحين كُلِّفت بمساعدة الأستاذ يحيى حقى فى مجلة « المجلة » طلب منى أن

استكتب الأستاذ، وفى أمسية ما كدت أعرض عليه هذا الأمر حتى ثار على كل ما يتصل بوزارة الثقافة، وحين استأذنت للخروج ألهمت أن أقول : يقول اليساريون إن مما يُحفَظ لهم أنهم حَجَّمُوا الأستاذ، فجهده الآن أن يكتب مقالات شهرية لمجلة الأزهر، بالإضافة إلى اليوميات فى الأخبار، وهنا أحسست أنه يتميز غيظًا ثم يقول : أوافق على كتابة مقال شهرى بالمجلة بعنوان « هؤلاء عرفتهم »، وفعلاً توالت المقالات، وصدرت بعد ذلك، وبعد ذلك تكونت لجنة من الأستاذ عبد المنعم الصاوى والأستاذ حامد سعيد ومنى لمقابلته بشأن تفرغه، فرحب بالكتابة فى دراسة بعنوان « الجلال والجمال فى الشعر »، وحين قال الأستاذ عبد المنعم : لك أن تقترح المكافأة، وستصل قبل نهاية كل شهر، ثم ضحك، قال الأستاذ العقاد هل عرض هذا الأمر على أحد قبلى، فلما قال الأستاذ حامد : عرضناه على الدكتور طه حسين، ولكنه اعتذر لأسباب صحية، قال الأستاذ العقاد : وأنا بدورى أعتذر، فقد تصورت أننى أول من يعرض عليه هذا الأمر، وخرجنا منكسى الرءوس .

وفى هذه الفترة نشر فى مجلة الآداب البيروتية، وفى مجلة الأدب المصرية والشهر، وكتب عنى كثيرًا السحرتى والخميسى والعالم وسهير القلماوي والدسوقى ودعبيس وأحمد كمال زكى إلخ، وحين قرأ لى الأستاذ عبد المنعم الصاوى دراسة بعنوان « الشعر الإفريقى بعد الصحراء الكبرى » فى العدد ٢٥ من نهضة إفريقية رأى أن أكون فى المكتب الفنى للوكيل، ثم الوزير، واستمرت صلتى بالوزراء حتى كان عهد الأستاذ يوسف السباعى فصاحبته فى جمعية الأدباء، ووضعنى فى لجان الشعر والنثر والتفرغ، وعضواً فى مهرجان الشعر والأدباء على المستوى الوطنى والقومى والعالمى، وفى المهرجان الثانى عشر بالجزائر لسنة ١٩٧٥ أحسَّ بتعب فرأَسْتُ أحد الاجتماعات، وحين سألنى عن الشعر قلت له : لقد أصبحنا فِى المؤخرة، فالعراقيون والشوام تفوقوا علينا، فقال بعد العودة قابلنى لنتحدث فى هذا الأمر، ولما كان مشْغولاً لاحقته بمذكرات ست بشأن إصدار مجلة للشعر، فكان يحوِّلها إلى الدكتور السيد محمود الشنيطى، ويرد بأنه لا توجد ميزانية، ويرسل لى صورة تقول : لا إصدار للمجلة ما دمت مسئولاً عن الهيئة، وفى جلسة بجمعية الأدباء، دعانى مع وزير الثقافة

السودانى والأستاذ هلال ناجى باعتباره ممثلاً للكتّاب العراقيين، والوكيل الأول للوزارة الأستاذ حسن عبد المنعم، وفى نفس واحد قال الضيفان - فى نبرة ثقة - لم لا تصدر مجلة الشعر من القاهرة، ويكون رئيس التحرير الدكتور عبده بدوى - ولما قال : المشكلة فى الميزانية، ردَّ الأستاذ حسن عبد المنعم بأن هناك فائضاً فى مجلة الإذاعة قدره خمسة آلاف جنيه، فهل يمكن أن تصدر بهذه الميزانية ؟ وهنا قلت : إن مطبعة مصر لا تطلب أكثر من هذا، وكان أن كتبت لعدد كبير من النقاد والشعراء أن المجلة ستصدر بعد شهر - وبالفعل صدر العدد الأول فى يناير ١٩٧٦ - وأنه لا مكافآت حاليًا، فكان أن رد علىَّ كثير منهم - وبخاصة العراقيون - المكافأة هى النشر فى مصر، وفى ضوء هذا كان الهجوم علىَّ فى مؤتمر أدباء الأقاليم بأننى أدير المجلة من الكويت، ولا أعطى فرص النشر للمصريين، وكان فصلى بعد اثنى عشر عامًا، دون معرفة بأننى تنازلت عن مرتبى بعد خروجى إلى الكويت، وكان أن رفعت الميزانية إلى خمسة وعشرين ألفًا، فاعتذر رئيس التحرير الثانى ثم الثالث لضيق ذات الميزانية، وكان الله فى العون !

.. وقبل هذه الفترة عملت مديراً لتحرير مجلة الرسالة، ثم مجلة الشعر، وكنت أجمع المادة وأقوم بقراءتها على الأستاذ أحمد حسن الزيات، فكان يسخر منا الأستاذ عباس خضر، ويقول : حوَّلتم المجلة إلى « مقرة »، وفى هذه الفترة شارك الأستاذ محمود محمد شاكر بسلسلة من المقالات التى نشرت بعد ذلك فى كتاب « أباطيل وأسمار » وكانت تدور حول نقد مفاهيم الدكتور لويس عوض فى النقد، ورفض استلام أية مكافأة، ومعنى هذا أنه حدث ضجيج حول مجلة « الرسالة »، فاقترح دمجها فى مجلة الثقافة، وحين وسَّطْتُ الأستاذ كامل الشناوى فى هذا الأمر، بشَّرنى أنه تحدث فى هذا مع الدكتور محمد عبد القادر حاتم، ولن يكون هناك دمج، ولكن الصيحات، ارتفعت ، وكان لا بد من إغلاق المجلات الخمس التى تصدر عن وزارة الثقافة، خصوصًا وأن المجلات قد تبنت فكرة الهجوم على من سموا « شعراء الرفض » فى الرسالة، ومن عكفوا على التعامل بافتعال مع الرموز المسيحية فى مجلة الشعر، وقد تلقفت لجنة الشعر هذه القضية، وكلفت الدكتور زكى نجيب محمود بالرد باسم اللجنة على هذه

الظاهرة المفتعلة، فكان من رأى الوزير أن يضاف اسم الشاعر محمود حسن إسماعيل إلى جانب اسم رئيس التحرير الدكتور عبد القادر القط، وأسند إلىَّ العمل كمدير للتحرير .

كما ذكرني بإغلاق مجلة « نهضة إفريقية » والنزاع بين وزارتي الخارجية والإرشاد، وكيف عُيِّن في المجلة عنصران يساريان، وأصبحت على « الرف »، ولكن المصالحة تمت بأن تصدر نسخة بالعربية وعليها اسم المستشار محمد عبد العزيز إسحق، ونسخة بالإنجليزية وعليها اسم الدكتور عز الدين فريد، ومع أنني عملت مديراً لتحرير كل منهما، إلا أن الميزانية سحبت، وأصبح لا مفر من الإغلاق ! وما سيطر على هذه الفترة هو الاعتقاد أن الأيديولوجيات وحوش كاسرة تلتهم الناس والأفكار، بالإضافة إلى تصفية الثورة لهذه التكتلات، ومن هنا يكون الأستاذ عباس العقاد، والدكتور طه حسين - بما يمثلان - الروح المهيمنة على العصر فكراً وإبداعاً، وأكون قد أسهمت بالأساليب الجديدة في تقديم القصيدة الغنائية، والأوبرا والأوبريت، والمسرحية، والقصيد السيمفوني، ووراء فكرة إصدار مجلة الشعر ابتداءً من عام ١٩٥٨، والموافقة على إصدار عدد من دواوين الشعراء حين كنت في الهيئة المصرية للكتاب، وحين وقفت من كثيرين موقف الأستاذ في الجامعات العربية، لتأكيد فكرة « الشعر فن العربية الأول » وأخيراً فأحس أنني عشت في غابة من الأشواك، ولكنني ما زلت بها حتى أصبح الشعر خميلة من الياسمين، وجنة من الوردْ .

(٢)

أنا ... والشعر (*)

– ١ –

كنت من فترة ودعت الشعر محزونًا، وحسبتُ أني ذرفت الدمعةَ الأخيرة في عملي العاشر، فقد استقر في ذهني أن الشعر العربي يمكن أن تغني عنه ست عشرة قصيدة، وثماني تفعيلات صافية، أما ما وراء ذلك فهو الثرثرة والاجترار ! فأغلب القصائد متشابهة ومكررة وأسيرة للزمن القديم، وللمثل الأعلى الجامد وللقوالب التي لا تتحرك حركة جوهرية .

ولنأخذ مثلاً أروع ما في الشعر وهو المقدمة – فما وراءها غثاء كغثاء السيل – فهو يبدأ عادة بالحديث عن الطلل والتشبيب والرحلة – ويوجد لها نظائر حتى في شعر التفعيلة حين يتحدث الشاعر عن موته ثم قيامه من الموت وتجوله في الحياة – وهو في مجمله مكرر الألفاظ والتركيب والشخصيات والأحداث – إن كانت هناك شخصيات وأحداث – المهم أنه كانت هناك دائمًا آفاق لا يمكن اختراقها لتجاهل قضايا الخيال، والدراما، والابتكار، ولأنه لم يكن يقبل من الشاعر قديمًا وحديثًا إلا أن يكون تابعًا، فقد كان أسيرًا لشيء ما يحسب له حساب في العصور، ومن هنا كان الشاعر تصادر حرياته، ويشقُّ عن قلبه، ويسلب منه شيء مهم جداً وهو الحرية، والرفض، والجسارة، وفي ضوء هذا لم يكن الشاعر ممتلئًا بالحياة وبنفسه، بل وبالثقافة، فقد حورب الشاعر المثقف بعنف، ذلك لأنه لم يكن مطلوبًا منه إلا أن يصدح للآخرين، ويسليهم، ويشيد بهم، ثم إنه ما أكثر النقاد الذين قدموا – حسب تعبيرهم – شعر الأهواء على شعر الآراء ! وفي الوقت نفسه اعتبروا الشاعر « طالب فضل » !

في مجتمع كهذا كان يحلو للشاعر أن يتمدَّد كالمريض على تراثه، وألا يتعامل مع ما يسمى بالاختراع، فقد رفضه البعض، وجعله ابن الجوزي مثلاً النوع الحادي

(*) مقدمة ديوان «الجرح الأخير »، ١٩٨٥ .

والثلاثين من بين منظومة تشمل الحياة والفن، وتبلغ جميعها ثمانية وأربعين، فهذا العالم تاريخيًا كان أسيرًا لما يعرف بالمعرفة الثابتة، وكان لا يمل حتى الآن من تلك المقولة التى تقول فى علم الأصول « حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متغير ». ومن القول بأنه لا فعل لمادة فى مادة، فإذا اشتد الجدل كان اللجوء إلى التوفيق الذى يقود إلى التلفيق ! ومن الملاحظ أن حضارتنا مدحت التلفيق، ونظرت إليه فى ضوء أنه الجمع بين الأشياء المتجانسة، ومن ثم كان الكتاب المشهور « التوفيق للتلفيق » للشيخ الرئيس أبى منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى، وكان الاستمرار فى التلفيق .

وعلى كلٍّ فقد أغلقت الدائرة حين رأينا الشعر يغلق على نفسه الأبواب، فكما لم يُطعِّم سيرته بالعلوم فإنه لم يطعِّمها بالفنون، وبخاصة ما يتصل منها بالفن التشكيلى، فقد كان قبل الإسلام يستورد البعض منها، وبخاصة ما يتصل منها بالعبادة، وبعد الإسلام وجد من يقول له : حذار حتى لا تدخل فى مباراة مع الله – وشتان بين الخلقين – ومن الملاحظ أن الشاعر حين أحس بشىء من الخواء راح يركز على مفاهيم خارجية ثابتة كالصنعة المزخرفة المتكررة، وكعدم التعامل مع الشخصيات شخصية شخصية، فعندنا شخصية واحدة للكريم وللجميلة وللشجاع وللمرثى، إلخ. ومن الطبيعى ألا نتعرَّف على الصورة الشخصية لممدوح بعينه كهرم بن سنان، والحارث بن عوف، والمعتصم والمتوكل وسيف الدولة، وهناك قصور قديم معروف فى مدح النبى، فقد نُظر إليه فى الغالب فى الإطار المعروف لشخصية الملك – بالإضافة إلى ضعف حركتى الحدث والزمن، ومن ثم كان لا بد من « بديل » يغطى هذا النوع، فبعد أن كانت القصيدة الجاهلية نحتًا، صارت بعد مجىء الإسلام تصويرًا، ثم كان التحوُّل إلى الزخرفة، ولقد كان البديل هنا هو « الموسيقى » إن كان صهيل خيول الموسيقى الشعرية بلا ضابط فى كل العصور، فقد أصبح كثير من الشعر لا تسمع منه إلا الموسيقى، حتى الشعر الحر : رأيناه يسبح سباحة شديدة فى الموسيقى لأنه يعتمد أكثر ما يعتمد على ما يسمى البحور الصافية، وتفعيلاتها، كما هو معروف، عالية الرنين، ولقد كان من الطبيعى التركيز على الموسيقى وتسميتها « بالحدِّ الأول » عند النقاد، وكان من الطبيعى استحداث ثلاثة علوم لخدمة هذه الموسيقى، وهى علوم العروض،

والقافية، والضرورة، وأن توجد متون علمية داخل موسيقى الشعر، ولأمر ما ارتبطت قضايا التجديد أساساً فى الشعر بموسيقى القصيدة فى كل العصور، بل لقد فاضت الموسيقى على النثر فكان السجع مثلاً، وعلى الأساليب البلاغية كالجناس .. ولعل هذا هو السبب الرئيسى فى ابتعاد الشعر عن الدراما، مع أن الشعر الأصيل جوهره درامى .

.. المهم أن شيئًا من هذه المفاهيم قد دعانى أخيراً إلى تهدئة نبض الشعر داخلى، مع أنه ظل فى حياتى دائمًا « غرفة الإنعاش » المؤقتة، وبديلاً عن الموت، ولكن الذى حدث هو أننى وجدتنى كبطل « الماراثون » الذى قيل إنه مات قبل الوصول إلى أثينا بساعة، لكنه ظل يعدو ليعلن انتصار الإغريق، فهناك فترة يواصل فيها الموتى التصرُّف كأنهم أحياء، ومن ثم كان هذا الديوان .. كان هذا الجرح الأخير !!

– ٢ –

.. ونحن لا ننسى أن ظروف الشعر العربى على مر العصور قد ارتضت أن يكون الشعر « مُسَيَّسًا » وفى خدمة الآخرين فى حقيقة الأمر، فهو قد خدم بجدارة القبيلة، والخليفة، والحاكم، ولم يشغل نفسه أساسًا بتجويد أدواته وتطويرها، وبالتعامل مع الابتكار واختراق الآفاق الجديدة، وحين كان يخرج عن هذه الدوائر المعتمة – كالصعاليك، والسود، والعذريين، والزهاد، والمتصوفة – كان المجتمع لا يعترف بهم كل الاعتراف، وكان من الطبيعى ألا تنزل بهم نوازل صارخة، ذلك لأنهم – بانسحابهم – كانوا بعيدين عن دوائر التنفيذ الخطرة، وكل ما يتصل بعالم السياسة المتقلِّب، لقد كان جل ما وقع بهم نوع من العقاب المقبول عندهم « كالخلع » أما الذين اقتربوا من عالم التنفيذ الصاخب فقد عوقبوا بصرامة، لقد تعرضوا للقتل، وإهدار الدم، والحبس، والحرق، والنفى، والحد، والتعذير، والمطاردة، والصلب، والسلخ، والتكحيل، إلخ. وقد اطلعت من فترة على مخطوطة فى دار الكتب المصرية اسمها « المقتالون من الشعراء » وقد هالتنى المسيرة الحزينة !

ويبدو أن هذه المسيرة الدامية هي التى « دجّنت » الشعراء، وأطفأت داخلهم العديد من القناديل، وقدمت لنا شعراً غزيراً مرتجفًا ومذعوراً، لا يسير إلا فى الطرق الآمنة .. فما ذكر عن تقدم الخطباء المبكر على الشعراء صحيح، وما يذكره ابن رشيق فى العمدة عن الاحتفال بنبوغ الشاعر مبالغ فيه – فعيناه كانتا مثبتتين على العصر الجاهلى – وما يذكره أبو حاتم الرازى عن الشاعر الذى « عليه يعتمدون، وبه يحكمون، وبحكمه يرتضون، حتى صار الشعراء فيهم بمنزلة الحكام، غير مقبول برمّته، فهذا القول قد يصدق على الكتّاب الذين ظهرت بينهم الطبقة المعروفة باسم « الكتّاب الوزراء » ولكن هذا التيار لم يتحقق فى الشعر، بل لقد رأينا أن المجتمعات الرسمية وغير الرسمية كانت تذود الشعراء بعنف كلما اقتربوا من شجرة الحكم !

فابتداءً نرى امرأ القيس حين يحاول الملك لا يجد من يناصره، عالميًا ومحليًا، وإبراهيم بن المهدى الذى هوّن المؤرخون من شأنه فسموه ابن شكلة، حين وصل إلى الخلافة بعد خلع المأمون لفترة قامت فى وجهه الدنيا، وافترسه حتى الشعراء، وكان قد اضطر إلى النزول عن الخلافة، وإلى أن يقضى بقية حياته « وعليه ثياب المغنين !» والشاعر أبو الحسين أحمد الرشيد بعد أن ضربت له السكة باسم « الإمام الأمجد » قال لمن يصلبه « عجِّل عجِّل فلا رغبة للكريم فى الحياة بعد هذه الحياة !» وقد ظلت سلسلة القتل والهوان متواصلة، وكلنا يعرف ما حدث فى فترة متقاربة لبشار، وعلى بن الجهم، وابن المعتز، والمعتمد، وابن زيدون، والمتنبى، إلخ، حين اقتربوا من الحكم، أو حتى حين حلموا به ! فإذا جئنا إلى العصر الحديث وجدنا سلسلة الهوان متتابعة ابتداء من البارودى المنفى إلى الشعراء الذين قضوا أجمل سنوات عمرهم ما بين السجن أو الغربة!

وقد كان من الطبيعى أن ينعكس الموقف السياسى على رجال الشريعة، فهناك من الأئمة – كالشافعى الشاعر– من يرد شهادة كثير من الشعراء، وهناك من يحارب التعامل مع الشعر – كالإمام مالك – الذى يرى عدم استحقاق الأجر لناسخ الشعر، كما أنه يحرم استئجار دفاتر فيها شعر بعينه كالغزل، بل لقد انعكس هذا الموقف على النقد بدوره، فبعد أن كان النقاد يقولون «إن البلاغة تتمثل فى حل معقود الكلام،

فالشعر رسائل معقودة، والرسائل المعقودة شعر محلول، بل لقد تحولت القصيدة المثلى عند البعض إلى رسالة، وبخاصة بعد أن حلت الرسالة محل القصيدة، واستعارت كل مقوماتها على نحو ما نعرف مثلاً من رسالة الأزهار لضياء الدين بن الأثير..

وقد تنبه من زمن ابن سينا لحالة التردى التى وصل إليها الشعر فقال: «.. كان الشاعر فى القديم ينزل منزلة النبى، فيعتقد قوله، ويصدق حكمه، ويؤمن بكهانته، فانظر إلى تفاوت ما بين الحالين، حال كان ينزل فيها منزلة أشرف العالم وأفضلهم، وحال صار ينزل فيها منزلة أخس العالم وأنقصهم!»

كما أن ابن فارس اللغوى قد اقترب من الموضوعية حين لم يطالب بامتياز للشعراء، وبالتجاوز عما يقعون فيه من الأخطاء، فحين تواترت مقولة الخليل «فالشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنى شاءوا، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم، إلخ. رأيناه، فى رسالة «ذم الخطأ فى الشعر» يقول «ما الوجه فى إجازة ما يجوز إذا قاله شاعر؟ وما الفرق بين الشاعر والخطيب والكاتب؟... فإن قالوا: «لأن الشعراء أمراء الكلام قيل: ولم لا يكون الخطباء أمراء الكلام؟ وهبنا جعلنا الشعراء أمراء الكلام لم أجزنا لهؤلاء الأمراء أن يخطئوا، فإن قالوا: إن الشاعر يضطر إلى ذلك لأنه يريد إقامة وزن شعره، قيل لهم: ومن اضطره أن يقول شعراً لا يستقيم إلا بأعمال الخطأ، ونحن لم نرَ ولم نسمع الشاعر اضطره سلطان أو ذو سطوة بسوط أو بسيف، إلى أن يقول فى شعره ما لا يجوز وما لا تجيزونه أنتم فى كلام غيره، فإن قالوا: إن الشاعر يعن له معنى، فلا يمكنه إبرازه إلا بمثل اللفظ القبيح المعيب، قيل لهم: هذا اعتذار أقبح وأعيب، وما الذى يمنع الشاعر إذا بنى خمسين بيتاً على الصواب أن يتجنَّب ذلك البيت المعيب.. المهم أن حركة النقد قد شجبت ما قيل من امتيازهم، وتنبهت إلى أن الشعر ما هان على الناس – كما قال حازم القرطاجنى – إلا لعجمة ألسنتهم واختلال طباعهم، صحيح أنه وصف هؤلاء بأنهم «أنذال العالم»، ولكنها الحقيقة التى تقول إن الشعر من فترة كما عانى من السلطة والنقاد والفقهاء.. عانى من الجماهير!

والآن فى هذه المتاهة يرتفع أكثر من صوت ليقول: ما جدوى الشعر وقد فنيت بواعثه؟ وبأنه بقايا همجية في الإنسان، وبأنه قد ذاب فى فنون أخرى كالسينما والمسرح والتمثال - وهكذا أصبح مذابًا بعد أن كان مذيبًا - وبأنه قد ضاع الزمن منه، أو على الأقل صارت حركة الزمن فيه قدرية بدلاً من أن تكون حركة تاريخ. والواضح أن هذه المتاهة لا تحتاج إلى شيء كالشعر، فبواعث الشعر لا تفنى، وهو حضارة وليس همجية، وبأن الغالب عليه فى مسيرته العربية أنه كان مستطيعًا بنفسه، ثم إن حركة الزمن فيه يمكن تعديلها، فالشعر الصحيح يعطى الإنسان الصحيح، واللغة الصحيحة، والزمن الصحيح، وذلك حين تتاح له فرصة الإمساك بروح الحياة أو بعبارة أخرى بروح الشعر، وذلك حين يتوصل إلى الرؤيا الصحيحة، والقدرة على اختيار الأدوات وشحنها شحنًا عاليًا بما يسمى وهج الحضارة، ولحظات الخلود.. وهو يكون قادرًا على هذا حين يتجاوز المحاكاة، والتعبير، إلى عالم الخلق أو على الأقل إعادة الخلق، ذلك لأن واقعه مختلف عن واقع الحياة، ولأنه أساسًا أسلوب بنائى خلاق، وعالم محرر كامل الاستقلال، فقبل أن يكون صوتًا للنفس، أو للمجتمع من حوله، عليه أن يكون صوت هذا العالم الخاص بالشعر لأنه الصوت الباقى أبدًا، ولأنه الجانب الأصعب فى العملية الشعرية، والأبقى فى العملية الشعرية.

.. وقد يكون هذا مطلبًا صعبًا، ذلك لأن عالمنا أصبح يغصُّ بالعسس والمخبرين، وأصبح يتحرىً عما يفكر فيه الإنسان، وفى الوقت نفسه لا يكف عن المطالبة بأن يكون الشعر صوت الحزب والطبقة أو الحاكم، أو على الأقل صوت النفس كما يذكر بعض النقاد، ولكن على الشعر أن يقاوم كل أنواع التبعية، لتصبح له القدرة على الخلق، وعلى التماسك، وهو ما لم يفعل ذلك سيظل يحكى أو يعبر عن الآخرين من خارج خصوصياته، ومن خارج أدواته الفنية، ومن ثم سيتكيف شيئًا فشيئًا بما حوله حتى يصبح مجرد «استطراد» لما قيل من قبل، فستكون هناك متابعة لنقطة الضعف القديمة، وقد يلجأ إلى المستقبل - هربًا من الحاضر المحاط بالحراسة والقداسة - فيتعامل مع

غيبيات من نوع جديد، ويصبح أسيراً لكل ما هو ضبابى، فإذا كانت فيه بعض فروسية وتعامل مع «الإسقاط» من خلال الرموز والأساطير والمقتبسات والتلميحات والأقنعة، فإنه سيعيد القديم بطريقة ملفوفة، وسيسقط بينه وبين قارئه أكثر من ستار، ومن هنا يغترب عن القارئ مرتين لا مرة واحدة!

إن تبعية الشاعر قد ورَّثتنا محصولاً بائساً من الجهارة، والرقة الزائدة، والضرب فى المجهول، والنظرة الضيقة إلى الكون، وعدم التعامل مع الحدث المتطور، والأنموذج الجديد المخلوق خلقًا من إبداع الشاعر، وليس معنى هذا أن الشعر سيكون مجرد مغامرة فى اللغة للوصول إلى ما يسمى لغة فى اللغة، أو يكون وسيلة لقتل الشاعر حين يبتعد عن المألوف كما حدث لكثيرين مثل الحلاج، ذلك لأن الشعر أساسًا رسالة حضارة يتوصل إليها أساسًا بالمواقف، والأحداث، والمخلوقات الفنية.. ومن العجيب أننا نبدو مقصرين فى سلسلة الشعر، فنحن الآن مثلاً لا نستطيع أن نقول ما قاله طرفة فى ملك، وبشار فى خليفة، والمتنبى فى حاكم، ذلك لأننا من فترة نزمزم – بالشعر – ولا نقول شيئًا ذا بال، فقد رأينا عودة إلى الاهتمام بالجوانب الشكلية، فعلى الساحة الآن ما تزال المعارك دائرة – بلا أسلحة – حول تلك الأشكال التى تسمى: الشعر الحر، وشعر بنثر، وقصيدة النثر، والقصيدة البياض، والقصيدة البيت، والقصيدة الإلكترونية، بالإضافة إلى الهرولة من خصائص الشعر إلى خصائص الفنون الأخرى كنوع من الإفلاس، فهناك نقديًا ما يسمى القصيدة القصة، والقصيدة الدراما، والقصيدة الملصق، والقصيدة الجدارية، إلخ. وليس لهذا معنى غير الهوان، فإذا كان هو الغالب فى نقد الفنون فكان هناك ما يسمى الشعر فى التمثال والقصة والمسرحية، إلخ. فإن الحديث يدور الآن فى عالم القصيدة حول أساليب السيناريو، والمونتاج، والحوار، والارتداد، والجوقة، بل لقد أصبح التخطيط واضحًا لإدخال هذه العناصر قبل البدء فى القصيدة.. وهكذا تحوَّل الشعر إلى شبكة لبلابية على أشجار الفنون الأخرى!

.. وعلى كلٍّ فقد تكون هناك أشياء رائعة قيلت تحت أستار الرعب والخوف بالرمز والأسطورة والتلميح، والمقتبس والتخليط – وما أكثره! – ولكن الملاحظ أن أكثرهم لم

يصل إلى قارئ الشعر، وقد يقال إنه يكفى أن يكون ما يقال دليلاً على قضية الفزع التى يعيشها الشاعر، ودليلاً على هجره الشعر فى الوقت نفسه حين يصيبه الملل من بعض الحضارات، ولكن هذا القول لا يكفى بالنسبة للحضارة العربية التى كان للشعر فيها مكان الصدارة.. وأية صدارة؟ وستفقد الكثير إن فقد الشعر! أو ضعف الشعر!

-٤-

والآن قد يقال: وأنت ماذا قدمت للشعر؟

ماذا قلت بأعمالك العشرة (١- شعبى المنتصر ٢- باقة نور ٣- لا مكان للقمر ٤- كلمات غضبى ٥- الحب والموت ٦- السيف والوردة ٧- دقات فوق الليل ٨- أوبرا الأرض العالية ٩- محمد - قصيدة سيمفونى ١٠- ثم يخضرُّ الشجر - ثلاث مسرحيات قصيرة - إلخ(*) .

وأنا لا أملك إلا أن أقول:

وما أنا إلا من غزيَّةَ إنْ غوتْ غويْتُ، وإن ترشد غزيةُ أرْشد .

فأنا واحد من أفراد « قبيلة الشعر » لا أدعى على أفرادها زيادة أو نقصانًا، وحسبى أننى تعاملت مع مقومات الشعر الأصيلة، ولم أضرب فى المجهول، وأننى فى الوقت نفسه كنت صوت نفسى وعصرى، بالإضافة إلى صوت الإنسان المظلوم، وإلى التعامل مع الأشكال الجديدة فى العربية كالأوبرا، والقصيدة السيمفونى.

.. ولقد كنت فى دواوينى السابقة أحاول بقدر الإمكان أن أفرق بين الشكلين اللذين أكتب بهما كنوع من تنظيم الموسيقى، ولكننى فى هذا الديوان مزجت بين

(*) أصدر الشاعر بعد ديوان الجرح الأخير ثلاثة دواوين هى : هجرة شاعر ، الغربة والأغرب والشعر ، شاهد عيان.

الشكلين، ويقى أن أذكر أن بعض القصائد من الشعر التفعيلي – على عادة كتابته عند الكثيرين – تبدو غير متجانسة الأضرب، وقد يضعف هذا الموسيقى، إلا أن هذا قد يكون مقصوداً –تلقائيًا– ذلك لأن أكثر هذا الشعر يجرى على تفعيلات المتدارك، والمتقارب، والرمل، وهى «تفعيلات صافية» غزيرة الرنين، وقد كان من همى فى الفترة الأخيرة تنظيم صوت الموسيقى.. لإعطاء دور لبعض عناصر الشعر التى كانت معطلة، وليكون هناك صدق عن عالم النفس الداخلى، وعن عالم الحياة فى الخارج، وعن عالم القصيدة قبل هذا كله .

– ٥ –

وأخيراً فقد بقى أن أقول إن الشعر أهلكنى ولم أهلكه، ولم يعد هناك مناص من الترجُّل عن هذا الجواد المتقد الحوافر والعينين، فإنه يبدو أن هذا الجرح هو« الجرح الأخير !» .

أ. د عبده بدوى

الكويت

١٩٨٥/٧/٥

من ديوان

المنتصر

١٩٥٨

بـــــلادى

مـن الـسُّــــودان حــــيـثُ أعــــيشُ بين حـــدائقِ الـشَّــــمسِ
وحـــــيثُ أشُـــــدُّ شَـــعـــر الـظلِّ فى جـــزعٍ على رأسِـى
أمـــــدُّ العـــــمـــر ملهــــوفـــًا . على مـــا ذاب من يأسى
. . . إلى الفــلاح مـــشـــدودًا بصـــرختِــــه على الفــأسِ
إلى « الأرغـــول » وهو يُغـــرغِـــرُ الأشـــواقَ فى عُـــرْسَ
إلى الأطـفـــال مـــقــــتطعين من قُـــبلٍ ، ومن همسٍ !

* * *

بـلادى يـا روابـى المـاس ، طـافـــــيـــــةً عـلى الـنَّهــــرِ
عـلى أبـوابك القـــــمـــــراء تورقُ دوحَـــةُ إلـسَّـــمَـــرِ
ولـيْلك مـلعبٌ نَجْـــرى ، ونقـــذفُ فـــيـــه بـالـقـــمـــر
وتحت ظـلالـك الـوطْـفـــــــاءِ أطـفــــــالٌ مـن الـزَّهـرِ
وشـــعـبٌ شــامِخُ التـــاريخ ، منحـــوتٌ من القـــدر
يَمَسُّ بكفِّـــه البــــيـــضـــاء فى رفقٍ على البـــشـــر
فـــيـعْـتنق الـســلام الأخـضَــرُ المهـتـــزُّ فى الـشــجـــر !

* * *

بلادى يا حقول القمح . والموّال . والوشْم
لكم ثرثرتُ فى واديك متكئًا على حلم ...
وأيقظتُ الجنى الذهبىَّ بين الدَّوْح بالَّلثم
وأبصرتُ الوجوهَ السُّمر ثائرةً على الظُّلم
تشقُّ ليومها التاريخَ، ثم تسير باليوم
وآنًا قد حملتُ الشمسَ منحنيًا إلى الكرْمِ
وآنًا قلت : « يا أرضى » وآنًا قلت : « يا أُمّى »

* * *

أحنُّ لقرية تجرى لصدر الليل مذعورة
ينقِّرُ فَجْرَها الوَرْدىَّ عصفورٌ . وعصفورة
يقول الطير عن أزهارها الحمراء «مغرورة !»
ويحكى الليلُ عنْ فلاحها المعْروقِ أسطورة
وفى شُبَّاكها تَلْقى سُتورَ العِطر مبهورة
... لقد خبأتُها فى القلب بالأوراق مضفورة
وحينًا قلتها شعراً ... وحينًا صُغْتُها صورة

* * *

بلادى لم يزلْ حلمٌ لفجرِك مِلءُ أَحْداقى
ونهرٌ عاش يَشْربُنِى . وأشربُه بإطراقى
وينموُ بين أجفانى . كما ينْمُو بأعماقى
ويبذُرُنى بإشفاقٍ . وأبذرُه بإشفاقِ
إلى أن قمتُ كالأشجار أغمرُ كلَّ آفاقى
جُذورى فى ثرى مصرٍ . وفى السودان أوراقى
وقد أثمرتُ أشواقًا ، فمن يقْطِفُ أشواقى
فهل ينسابُ شوق الجِذْر فى يومٍ إلى السَّاق ؟

(الخرطوم ١٩٥٥)

القرية الطيبة

هنا فى القـرية الخضـراء مهـد ابنى وقبـر أبى
وأيامى التى رقصت كسنبلةٍ من الذهب
قطعتُ العمر عصفوراً يُنقِّرُ هامة السُّحُب..
وطفلاً لوّن النور الذى ينداح فى العنَبِ
وشدَّ ضفيرةً سمراء عاصيةً عن اللعِبِ !

* * *

هنا فى القرية الخضراء أرْخَى الخصب أهدابه
ومدت لهفةُ العنقود نحو الكوب سبَّابة !
وأصغى القطن والصَّفْصاف فى شوق لِلبْلابه
تعيد حكاية الثوَّار ملتفِّين .. كالغابة
وكيف غدا « عرابى » دمعة بكماء منسابة !!
هنا فى القرية الخضراء حيث جزائر الشجرِ
فؤوس تنقش التاريخ فوق جوانب القمر ..
وقومٌ أقسموا بالعزم مطروحًا على السَّهَرِ !

لسوفَ نشقّ قلبُ الظلم ! قلب وجوده الحجرى
وران الصمت وانحدر الصليل بغابة البشر !!

* * *

وماج الشعب فهو قُوَى مع الأقدار مصهورة
ورفرفت الجباه السُّمر كالأعلام منشورة !
فأضحت أرضنا الخضراء بالأوراق مغمورة
ونامتْ بين أذرعةٍ مشقّقةٍ ومبهورة
.. سيرسم فوقها غصنٌ من الزيتون لى صورة !!

* * *

فإنى قد غرستُ الأرض إصْراراً وإيمانا
وقد طرَّزتُها بالحب رابيةً .. ووديانا
فنيت بها فألقتنى على الريحان ريحانا ..
ومدّتنى أغاريداً ! وأوراقاً ! وأغصانا !
وفى أطيارها آنا .. وفى أزهارها آنا

(١٩٥٢)

مصر تغنى

أنا قلبُ إفريقيا الذى قد دق أبواب القدَرْ
الشمس تنبع من جبينى، ثم تغرب فى الشَّعَر
هدهدتُ فى صدرى الهلالَ فصارَ فى كتفى قمَرْ
ورفعتُ من خُصَل العبير منازلاً فوق النهَرْ
.. كم بذرة لما ارتمتْ من راحتى شهقَتْ شجَرْ!!

* * *

أنا قصة الشرق الذى أبهاؤه من أمنياتِ
من شهر زادٍ.. والمقاصير الغريقة فى الصَّلاةِ
أشجارُه سُرُرُ العبير . ومَعْبَرٌ للقُبَّراتِ
وجفونه تلتفُّ حول جزائرٍ من أغنياتِ
وصباحه كأس تلعثم فارتمى بفم السُّقاةِ!!

* * *

أنا غنوة صدحت بها شفة الوجود الحالمةْ
تهتز فى إنشادِها - أمواجُ قمحٍ ناعمةْ

وبحـــار دمع من جــبـــاهٍ مــــجـــهَــدَات قــــاتمةْ
الأرض تحتَ ســـمـــائهـــا الزرقــــاء رؤيا نـائـمــــةْ

* * *

أنا ذلك الشـــعبُ الذى جـمــدت يداه عـلى السـلاحْ
انظـرْ إلى إصـــراره .. تلقَ الـرمـــاحَ عـلى الرمـــاحْ
فى قلبـــه فـــجـــرٌ يسلسلُ خطوَهُ نـحـــو الصـبـــاحْ ..
بثــغـره الأطـفـالُ كـالْقـبَل الصـغـيـرة .. كـالأقـاحْ
يتـضـاحكون فـتـحـمل الضـحكاتِ للوادى . الرياحْ !!

(١٩٥٣)

صورة من القرية

أنا لسْتُ أنسى قَرْيَتى بِدُروبها المتلْعثِمَةْ

بشيوخِها المتوشّحينَ بذكرياتٍ طيبة

وبذكريات مُؤْلمة

تاريخُهم قد سطروه

بالوشم يرسمُ للسَّلام حمامتيْنِ جميلتين بِقُرب عين !

وفى الذراع

« اسم بلدتنا الجميلة

وقصة عن فَتْح تونس

والهوى فى قلب يونس

وأبى زيد سلامة

شاهراً سيفًا أمامه » !

يتصايحون على المدى

وبِفْرحةٍ يتحدَّثون

ويردُّون « السلام »

ويشبونَ الحرائقَ فى الظلام

فلا تنام
فإذا تَمشَّى النُّور فوق المئذنة
خفُّوا صفوفًا مُؤْمنة
وتسابقوا فى هَمْهَمَة
جُمْجُمة
من خَلْفِ أَلفِ جُمْجمة

* * *

أنا لستُ أنسى قريتى بمسَائها المتهدِّم
بالشِّعْر فى جَسد الظلام المعتم !
بمواسِم الرُّعْب الشقية
والشُّرب من قلْب الضحية
حين تصرخُ بندقية
ويقال « مات
ولن يموت صُراخُه بين الدمِ
وعلى الطريق المرتمى
حتى يريق الثأْرُ عُمْرَ المجرم !! »
ويدخنون براحةٍ مشقوقةٍ مُلَئتْ جروحْ
وتهبُّ ريح
فيذعرون ويسقطُ الكوُب الصَّفيح

وينصتون إلى حذاء

فى أى ناحية توجَّه ينصتون إلى الحذاء

ويعود فى الليل الحذاءُ يجرُّ صاحبه « الغفير »

فيقول « مات

ولن يموت صراخُه بين الدمِ

وعلى الطريق المْرتمى

حتى يريق الثأرُ عُمْرَ المْجرمِ !! »

* * *

أنا لستُ أنسى قريتى بحقولها المتأملة

بصغارِها المتصايحينَ على بقايا سنبُلة

وحكايةٍ متنقلة !

لا ضوء بين عيونهم

لن تلمحَهْ

فجفونهُم متقيِّحة

ودموعهم متأرْجحة

وعلى أغانيهم تراب

وملءُ يومهم التراب !

.. لكنهم زرعوا الزهور

وأنتجوا القطن الوفير

ومشوا إلى أكواخِهم

حيث الحرير

وستائر فوق النوافذ من عبير

وألف جاريةٍ ترفرفُ أو تسير

بالخُوخ والتّفاحِ واللحم الوفير

فى الحلم

حيث تراهُمُ مُتضائلين

صفر الحياة كأنهم فى مقصلة

لا تقتربْ منهم فإنى لا أرى

أحداً يُحَرِّك أنملة

فالموتُ يغرس فى قُراهم منْجله

والليل يقذفهم نُجومًا آفلة !

أنا دمعة منهم تسيرُ مُضلَّلَة

وقصيدة لما تزل بقرنفُلة

متأملة !

(١٩٥٤)

أمس واليوم

فى الماضى كم غَرسَتْ كفِّى فجراً أخضَر
كم مَرَحَتْ فى ليلٍ روُحى فوق البيدر
كم سَار على خجَلٍ طفلى جُوعًا يغْلى ؟
جُوعًا مَعْرُوقًا ملتصقًا مثل الظِّلِّ
فإذا ما مُدَّتْ راحتُه
عادتْ فارغةً راحتُه
من أرض تنضجُ فى شَوْقى قَبْلَ الحقل
فأريقُ أباريقَ دموعى فوق الليل
والعالم يبكى من حولى
العالمُ يبكى من أجلى
يغْرورقُ أرضًا وسماء !
يتساقط يأسًا وشقاء !

* * *

واليوم يغطِّى قريتنا حَقْلٌ مبحوح الأوراقِ
حقلُ ثرثار الأشواقِ !

حقلٌ مفتوح الأحْداقِ !

حقلٌ يتململُ في صمتي في إطراقي

حقلٌ قد غلغل في عِرْقِي ! حقلٌ قد غاصَ بأعماقي

في كفيه كُوخِي يتعلّق كالسَّلَّة

في جفنيه حُلم فرحان بالغلة

وصغار تَقذف لهفتها فوق النخلة

فإذا انكفأتْ .. أو قد كسِرَتْ منهم « قُلَّةْ ! »

وهناك تعلّق أرجُلهم فوق الشجر

فإذا سئلوا « من في الشجر ؟! »

هتفوا خوفًا « بعض الثمر !»

فتقهقه أطفالُ الزَّهر

وتهرول أطفالُ البشر

فعلى التلّة

شيءٌ مجهولٌ تخشاه كل القرية

شيءٌ لا رأس لعالمِه يطلب ماء

يَرْجُو ثأرًا ، أو يبَغْي في الليل دماء !

(١٩٥٥)

موال أدهم الشرقاوى

يدور حول العقدة التى يذكر فيها أنه «الأدهم»

للذين يبحثون عنه سخرية منهم

مازلت أذكر حينما قد كنت طفلا أتدلى من حياتى

ذلك « الموال » منصبا إلى أعماق ذاتى ..

فهو فى عمرى خميله

وهو قريتى الجميله

وهو « أرغول » يحملق فى ليالينا الهزيلة .

ويغنى .. وهو يقطر بالدماء الليل طوله

(... كان تلميذا صغيرا

فيه أفراحُ الطفوله . وتباشير الرجوله

فهو فى الفرشات لون ألثغ لم يَعْدُ . لوحه

وإذا سار فحقلٌ .. وإذا نام ففرحه

وإذا ما قام يوما قال عنه الناس « دوحه ! »

قامة فى طوله مول نجاواه عريقه

وفم فيه من الكرز شقوقه
وانطلاق يحمل « الأرغولُ » فى شوق سموقه
وهو يحفر فى غضون الحقد مهتاجا طريقه
ويوارى تحت أوراق الدجى المنسى جرحه !!
يا لجرحه !!

* * *

كان تلميذا وديعا عمق الثأر همومه
وتلاقت فيه نيران وأحقاد دميمه
وتقاليد تنادى بالجريمه
« الجريمه ! »
سوف تغزوة الحكومه
ساءلت عنه الروابى . ساءلت عنه الشجر
حتى العبير الأخضر الوسنان فى جفن الزهر
حتى الدجى جذبوه من فوق السحر !
حتى القدر !! حتى الأمانى فى الفكر !!
لكنهم قد أغفلوا فى ساحة البيت « القمر ! »
يجذب الثوب على المصباح حتى يزدهر
أو يهدىء خصلة سمراء كما تستقر
تحت منديل سخى ! مختصر !

كله برق . ولون وصور

وينادى فى حنان ! فى حفر

فى انفعال لم يزل غض الحذر !

(إننى الأدهم ... لا أعرف أيان استقر !)

* * *

فإذا ساروا ولاقى الباب منهم مصرعه

طوّح « المنديل » عنه وتمشى زوبعه

فالجبين الحلو مالت فيه عجبا .. قبعه

والعيون السمر نامت فى حماها مزرعه

حسبوه يتوارى فى « الفصول الأربعه »

فأحاطوه بسجن من بنادق مشرعه

فمضى يسخر منهم فى هدوء فى دعه

(إننى الأدهم .. . لم أعرف بيوم موضعه !)

* * *

بينما قدد حرجت من جبهة الليل الشذيه

راحة تنفض فى الصبح ... الخيوط اللؤلؤيه

.. كان كل الجندى فى « إيتاى » صف وتحيه

ويد « المأمور » جفت وهى ترجف بالتحيه

« واللواء » الصامت المجهول اصداء قويه
« .. السلاح اليوم لاتصلح فيه بندقيه
أجمعوه فهو لم يوقف من الأدهم غيه ! ..
(إننى الأدهم ... لن أعرفه إلا ضحيه !!)

* * *

وارتمى الأرغول حزنا فوق قريتنا الحزينه
وهو يحكى فى نشيج أسمر ! وخطى بدينه
قصة الغدر اللعينه
فلقد أرداهُ من ناداه فى شوق خدينه !
فارتمى فى آخر « الموال » أياما طعينه
وإذا القرية حزن !
وارتعاش !
وضغينه !
وإذا ليلى دمع !
واحتضار !
وسكينه !

(١٩٥٦)

* * *

الضوء المنفعل

الفجرُ الأسمرُ يرتعد

ويهزُّ الأفق بإصراره

وبأغواره !

قد دوَّى طبلٌ فى الغاب

ومشى زأراً خلف حراب

خلف الأحقاب ! الأحقاب

« شجر الأبنوس غدا حراً

والنِّيم .. النيم[1] غدا حراً

والقطن بهذى المنطقة الاستوائية !! »

وأفاقت إفريقيا العظمى

شيئًا ضخمًا

شيئًا يتمدَّد بِعُروقى ! شيئًا جهمًا

شيئًا مزروعًا أعرفه فى البشريةْ

---

(١) شجرة مشهورة فى السودان.

فى بيت غزلت شرفته بخيوط عبير شرقية

فى طفلٍ مشدوهٍ يرنو من خلف ضفائر زنجية

فى كرمة ضوء منفعل ! فى أغنية

فى وحشية

فى شيء سمى « حرية ! »

إفريقيا لا شيء اليوم سوى إفريقية

أحواض الشمس سَنَجْعلها بالذرة رؤيا ذهبية

لتغطى العرى بقريتنا

لترفرف فى جفن صبية

لتعيد السلم إلى قلبى

ولهذى الكرة الأرضية !

(الخرطوم ١٩٥٦)

إلى أم بعيدة

أمَّـــاهُ مـــا ذكــــرتْكِ رُوحى تحت أهداب القـــمــــر
إلا وقــــــمتُ أهزُّ بالكفّين جُـــــدرَان القــــــدر
وأشـــدُّ أســـتــــار الظلام بما تجــمَّـــد من ضـــجــــر
فـإذا اســتـجـبت للهـفـتى وقـدمتِ بين سـحـابتْين
ألقــــيتُ أيامى على الوجـــهِ المنوَّر واليــــدين !

* * *

أنا لستُ أنسى دمـعـةً بيـضـاء تصـرخ فى جـمـود
« .. أترى أمـوت وأنت عن وطنى وعن حـبى بعـيـد
الشـــوقُ ســـوف أظل أرعش هُدْبَهُ حـــتى تعـــود
حـــتى إذا لم يبق دونَكِ غـيـــر قــدر الراحـتـيْن
أُلقى بعـمـرى فوق طيـفكِ وهو يذرف دمــعـتين ! »

* * *

أمَــاه لن تهــوِى قِــفِي لن تـذهبى من عـــالمى
لن يُغْـصِـبَ الموتُ ابتـــســامَك من وجــودى من دمى
ولســوف أكـفــرُ بالوجــود وصــبــحــه المتـبـسِّم ..
إن لم أعــــد ! إن لـم أعـــد ! فــــأراك ملء المقلتين
وأحسُّ شـوقَك فى الجـبين مـرفـرفـــا فى قُـبلتين !!

* * *

أمــاه ياكــفــا تَدْحــرجُ من عــيــونى الأدْمُــعــا
وحــديقــةً تلتف من حَــوْلى حنانًا مُــمْــرعــا
أترى ســتـبـصـرنا الســمــاءُ كــمــا تمنَّتنا مــعــا
وأراك تـقـــسـتلعين من روحى الشُّــــرور بنظـرتين
وتطرِّزين على الصـدار بكل خـيطٍ فــرحـتــيْن !
أنا قــد تركــتُكِ للسنين وصــخــرةِ الأبد الحــزينة
لصليب دمعٍ أحــمــرٍ يهــتــزُّ فى عنق السكينة
للذكــريات الشــاحــبــات وراءَ قــضــبــان المدينة
فــمــتى أدقُّ عليكِ بابك فى الصــبــاح بغنوتيْن
فـيظلُّ وجــهُك فى دمى ويظلُّ ينسجُ بســمــتيْن !

(الخرطوم ١٩٥٦)

الغـــــائـــب

فى ذلك البـــيت الوســيم وراء شـــلال الحـــيـــاه
كنا نعــيش مع الطبـيــعــة كـالسكينة فى الصــلاه ..
هذى خطاى علي الطريق فـــأين قــــد ذهبت خطاه
أتراه يرجع ثانيــــا أم لست يابيـــــتى تراه .. ؟!

* * *

هذا ســــريرك لم يزل للبـــاب مـــثلى يرقب ..
والعــــمـــر يفــتح ســاعــديه لكل وهم يقـــرب
وعلى دمى حب يجفّ الهـــمس فــــيـــه ويغـــرب
أتراه يرجع ثانيـــا أم لست يا بيـــتى تراه .. ؟!

* * *

أنا فى انتظارك والمســـاء . وشـــوق أيامى مـــعى .
وإذا غـفـوت فـسـوف أترك شمـعـة فى مـخدعى ..

لتســـيـــر فى آهاتهـــا . البـــيـــضـــاء خلف الأدمع ..

أتـراه يرجـع ثانـيـــا . أم لـسـت يـا بيـــــتى تـراه . ؟!

* * *

يأيهـــا البـــيـت الذى غطتـــه أوراق الشــــجـــر

وتـسـلـقـت جــــدرانـه أقـــــدام أطفــــال الزهـر ..

وبمضـــربينا فى دجـــاه قـــد لعـــبنا بالقـــمـــر ..

أتـراه يـرجـع ثـانـيـــا أم لـست يـا بـيــــتى تراه ..

(١٩٤٨)

* * *

من ديوان

باقة نور

١٩٦٠

عائد إلى القرية

أنا قد عدتُ يا دنياىَ للأحلام والنور
لأرضٍ لم تزل تنمو ، وتزهرُ بين تفكيرى
لحقل قرَّب الأهدابَ من فوق الأساطيرِ
وأغْفى تحت ظلٍّ الدوح ريَّان الأساريرِ

* * *

أنا قد عدتُ أشواقًا تحدِّق فوق أهدابكْ
وعصفوراً ينقِّر ماسةً للفجر فى بابِك !
فماضىَّ الذى قد ضاع متكئٌ ، بأعماقك
يطلُّ بصوته ، ويعود مختبئًا بأوراقك !

* * *

رجعتُ لقريةٍ تهتزُّ بالأوراق فى نفسى
أغانيها على ثَغْرٍ .. وجَرَّتها على الرأسِ

وماضيها يرُى عريان محنياً على فأسِ
يُرى في أوجهٍ سمراء تحمل رهبة الشّمْس

* * *

فقد علّقتُ أيامي على أنشودة الشجرِ
وصاحبتُ ارتعاش البذر حتى دار في الثمر
وعدتُ لمنزلي في شارع سأمان منحدر
وفي شفتيَّ « موّالٌ » خصيبٌ . يانع الصور !

* * *

أسير به فتذكر خطوتي الأبوابُ والدورُ
ويمضي يستعيدُ شقاوتي في المنحنى السُّورُ
وتقفز طفلةٌ ، وتصيح في وجه أساريرُ
« لقد عاد الغريب اليوم تحمله الأعاصيرُ ! »

* * *

هنا أقوامي البسطاء منكسرين كالعُشْب
على أجفانهم ما بين دنياهم من الحُب !
أحبُّهمْ فهم في الأرض ما أهوى ، همْ شعبي
هم العشُ الذي يأوي إليه مرفرفاً قلبي !

* * *

سـأصـحـبـهم هنا للمـوسم الموشىً بالنُّضْـرَةْ
لتُـرفعَ أعينٌ للبـعثِ فى إشـراقـه نظرة
لتـضـحى الأرض للكفِّ التى نسـجتْ بهـا الخُـضـرة
لتنمـو فـوق عـالمهم . وفى أعـمـاقـهم « زهرة ! »

(يناير ١٩٥٩)

عينان

عـــيناه بحـــرٌ حـــالمٌ لا وهمَ يدرِكُ شـــاطئـــيـــه
جـــمـــعتْ فنون الظل والألوان رقـــصـــةُ مـــقلتَـــيْـــه
كم مـــرّة علَّقتُ عـــمـــرى فى تقـــارب مـــحـــجـــريه
وحـــســـبتُ أنّى ســـوف أبقى خـــالد النجـــوى لديه
فـــإذا بعـــينيـــه اســـتـــدارتْ للدجى فى جـــانبـــيـــه
وإذا أنا دمعٌ رضـــيـــعٌ ســـاقطٌ فى مـــقلتْـــيـــه !

* * *

عـــيناه قـــد ســـقـــتـــا أناشـــيـــدى وأيامى ظمـــا
مـــرح الزهور ، ولثـــغـــة العـــصـــفـــور يصـــدح فـــيـــهـــمـــا
ووداعـــة الغـــدران ، والنغـــم الخـــجـــول عليـــهـــمـــا
مـــا زلتُ أنظر فـــيـــهـــمـــا حـــتى تسلَّقتُ الســـمَـــا !
حـــتى إذا مـــا الجـــوع صـــاح بمقلتىَّ ، وأضـــرمـــا
أصـــبـــحـــتُ فى وهج الحـــريق على البـــســـيطة « آدمـــا »

عـيناه تبـتـسـمـان فى قلبى بفـجـرٍ أسْـمـرِ

وتصـوُّران حـمـامْـتين دعـاهـمـا نبع ثرى

والليل مـقـفـول القـمـيص بلوحـة من مـرمـرِ

أنا منهـمـا غَـرَّقْتُ عـمـرى فى انعـتـاقٍ مُـقـمِـرِ

حـتى إذا مـا الدمع أورق واسـتـدار بمحْـجـر

أصـبـحت تمثـالاً لحـزنٍ صـامتٍ . مـتـحـجِّـرِ !

(أبريل ١٩٥٨)

العنقود الأخضر

ما زال يضيء بأعماقي
ويطلُّ بجانب أحداقي
أصحو فأراه بأشواقي
فإذا ما ملتُ لإطراق
يرنو مجلوَّ الأوراق
وأراه «عنقوداً أخضرْ»

* * *

قد كان دوائر ثرثارَة
وبقمَّة غصن نوَّارة
كم دربٍ سرتُ وكم حارة
طفلاً يتعمَّقُ أغواره
ويحسُّ على شوقٍ نارَهْ
ليراه عنقوداً أخضْر!»

* * *

فالقرْية كانت مسكينة
لم تعرف فى يوم زينة
أو كفًّا تمسحُ نسرينة
أو حبّة قمحٍ مفتونة
لكنّ الأرض المحزونة
قد أعطتْ « عنقوداً أخضْر ! »

* * *

منَّيتُ بربوته سَهْلى
وبكرت له تحت الظلّ
أعدو فى شوقٍ مبتلّ
وأسير بفكرٍ مخضلّ
حتى أشرفتُ على التلّ
فوجدتُ به خطواً قبْلى
.. مهما يدعو مَسرَحُ الظّلّ
وتدور كرومٌ من حَولْى
فالنار تغلغل فى ليْلى
وتنادى « العنقود الأخضَرْ ! »

(مايو ١٩٥٩)

لا صديق للزنوج

مستوحاة من قصيدة الشاعر الإفريقى

« أرماتو » التى يقول فيها :

« لا أعلم صديقًا للزنوج

سوى الأرض ، والسماء ، والعواصف

والأمطار ، والبعوض !

ذلك لأن الأرض تراهم يسقطون كالتراب

ولأن السماء تسمع صراخهم

وتنكر عليهم حقهم !

ولأن العواصف تحمل أناتهم

ولا تستطيع إخاءَها

ولأن الأمطار تمتزج بدموعهم المستمرة

ولأن البعوض لا ينكر ما امتصَّ من دمهم

.. ليس من شيء صديق للزنوج

سوى الأرض، والسماء ، والعواصف

والأمطار ، والبعوض !! »

مـــا لـنـا مـن صـــديقْ فــى ذلـك الـعـــــالَـمْ
غــيــر الثـرى ، والســمــاءْ وريـحـــهـــا الـظـالـمْ
وغــيـــر همس البـعــوضْ وأغـنـيـــات المـطـرْ
تقـول « لا مَـفَـرْ !(١)
لا مَـفَـرْ ! لا مَـفَـرْ »

فـــالأرض تعـــرفُ ذلَّـنا ووجـوهَنا المسـتـفـهِـمـة
والنـارَ فـى أعـــمـــاقـنا المنزوفــة المتــألمة
هو قــد أقـــام بـوجْــهنا فى غـيـر رفْقٍ مـرسَـمَـة
ومـــضَـى يدحــرجُ يومَـنا بين الفــجـاج المظْلمـة

* * *

والأفــقُ كَــمْ رنَّــتْ بــه أصــداُؤنا المتـنـاغـمـة
دقَّـتْ عليــه دمـــوعُنا ودمـاؤنا المسـتـرحـمـة
فــإذا فـى صَـمْـتـه كـالقـبْـر يحـرسُ جـمـجـمـة
أتـراُه ينـكِـرُ أن نـســـا [م] ئل ربنا .... فى مَظْلَمــة ؟

* * *

(١) تداخلت تفعيلة البسيط والمجتث فى المفتتح والمختتم.

والريح ليست تنكرُ [م] العشبَ الرطابَ المعتمة
تمشى فتخشى أن تضلَّ على الجُروح المضْرمة
هبتْ ، وجاشتْ .. ثم [م] قلقلت القرى المتهدِّمة
لكنها رقَّتْ أمامَ عيو [م] ن طفل حالمة !!

* * *

بَينا نجوع نرى البعو ض يهزُّ فينا موسمَهْ
ما جاء من عرق الحياة يريقُه فى غمغمة
يمتصُّه فى خطْفةٍ فى نقرة ، فى دَمْدَمة
فنرى به أيَّامنا وحياتنا المتلعثمة

* * *

ونحسُّ فى المطر الحياة تضىءُ ، تُورق نمنمة
ونحبُّه فعليه دمـ [م] ـع حياتنا المتهدِّمة
يهتزُّ بالحزن العميق إلى المراعى المُغْرمة
فإذا بهذا الحزن أخضـ [م] ـر فى الرَّوابى الملهمة !
وإذا بنا - والصَّمتُ يغـ [م] ـرِقنا - ذُرًا مُسْتسلمة

* * *

ما لنا من صديقْ في ذلك العالَمْ
غير الثرى ، والسماءْ وريحها الظالمْ
وغير همس البعوضْ وأغنيات المطرْ

تقول « لا مَفَرْ ![1]
لا مَفَرْ ! لا مَفَرْ »

(ديسمبر ١٩٥٩)

إفـــريقى

هزَّنى وَجْــــهُكَ الأصمُّ ... جــــامـــدٌ شــامخُ الألَمْ

والسَّـــــوادُ الـذى بـه ... عـــشَّش الليل واعـــتـــصم

.. عـشت فى القـيـد قـصـةً ... فــوقــهــا ينقــرُ العــدمْ

ثــم دقَّـت عـــــزائـمٌ ... فــــوق أرضٍ من الـظُّلَمْ

فـــإذا الـفْــجــرُ رايـةٌ ... فى الـســمـــوات تـزدحمْ

حــولـهــا كلُّ جـبـهـة ... حـــرَّةُ النُور تقـــتـــحِمْ

كل كـفٍّ تحـــوطُهـــا ... مــوجـةٌ، وهى كـالخـضم !

* * *

حـــبَّـــذا الحـــربةُ التى ... لـــم تَـــطُـــلْ رأسَـــك الأشـــمْ

والمراعـى ســــخـــيَّــــةُ ... قــــد أفـــاقـت على نـغـمْ

والأســــاطيــــر فى الدُّجى ... حـــولهــــا النـارُ تضطرمْ

كـلَّـمـــا جفَّ ظلُّهـــا ... غــــرَّد الـنُّور فى القِـــمَمْ

واســـتــدارت حـــمـامــةٌ ... بين غُـــصــنين تبـــتـــسمْ !

* * *

عـــالم السّلم عـــالمٌ   أنـــت رُبَّـــانه الـمعـلَـــمْ

فـــانشـــر النور وارفـــاً   فى اخـــضـــرارٍ على الأممْ

واكسُ بـالـدفء والسـنـا   كلَّ من جـــاع أو حُـــرِمْ

أنت كفٌّ رحـــيـــمـــةٌ   والدُّنا طفلك الهَـــرِمْ

فـــابتـــسم فـوق وجـــهـــه   يســـفـــرُ الليل عن حُلُمْ

عن حـــيـــاةٍ رخـــيَّـــةٍ   كـــأغـــاريد فى النَّسَمْ

(يوليو ١٩٥٩)

من ديوان

لا مكان للقمر

١٩٦٦

لا مكان للقمر

قَد أطرقَتْ حبيبتي فلا مكانَ للقَمَرْ

كلُّ الحياة حولنا تجفُّ ... ثم تحتضِرْ

كلُّ الزهور حَولنا مشنوقَةٌ على الشجَرْ

كلُّ الوجود صامتٌ كقطعةٍ من الحجَرْ

ومن زجاج فجرنا تضيعُ زَهْوَةُ الصُّوَرْ

ولم تعدْ لحبِّنا أغرودةٌ مع السَّحَرْ

أوّاه لو قدْ كان لي - بقدر دمعةٍ - مَقَرْ

لو مرَّة بجدبنا تهلُّ غِنْوَةُ المطَرْ

ولو تشقُّ أفْقَنا حمامَةٌ على سَفَرْ

لكنَما الليل ارتمى ... ولا مكان للقمَرْ !!

- صديق أيامي التي كانت كأحلام الزهَرْ

واليوم ضاعت واختفت ظلالها .. فلا أثَرْ

ولم تعد لحبِّنا - والعمرُ معروقٌ - ذِكَرْ

ما عاد شيءٌ يُرتَجى فخلْف بابنا القدَرْ

والخوف ملء روحنا ! والبرد سال وانتشَرْ

والناس داسوا قدسنا وعذَّبونا بالنظَرْ

ولا مكانَ إن أرَدْنا أنْ نطير أو نَقَرْ

فالليل يمشي نَحْونَا .. ولا مكان للقمر !

* حبيبتي فلنفترقْ

فلننتحر .. فلا مفر

* لا مفر

- لا مفر !!

الشاعر والمدينة

مــــــدينـتـى تموتُ فـى دمـى　　　مــدينتى لا تعــرفُ السّــلامْ
لا تعــــرف الحنان وارفـــًا　　　والهــمْسَ ، والنقــاءَ ، والوئام
لا تملأ العــيــــونَ بالسَّنا　　　لا تفـــتح القلوبَ بالكلامْ
لا تغــــزل الحنينَ فى المنى　　　لا تزرعُ الضــيــاءَ فى الظلام
لا تُنبتُ الأحـــلامَ ، لا يُرى　　　فى بابهــا الإنســانُ ، لا تنام
.. فتَّشْتُ عن نفسى بها فما　　　وجـدْتُنى فى ضَجَّـة الزّحـام
كلُّ الذى لَقــيــتُــه هُنا　　　الزّيفَ ، والغرورَ ، والخصام !

* * *

مــــدينتى لا تلَمسُ النَّدى　　　لا تلْمحُ الوجُـــوهَ مــرتينْ
لا تبــصــرُ الأطفـالَ رَفْـرَفُـوا　　　وَسَــقَـسـقُـوا مـا بين كـرزتَينْ
ولا تقــول للغــريب كلمتْين [م]　　　كـلـمــــتين حـلـوتـينْ
ولا تمدُّ كــفَــهــا لكىْ　　　تهُــزَّ فى البكاء دَمْــعــتين
ولا تعــاشــر السُّكون لا　　　تشــدُّ بين اثْنين مُطرقين

.. فتَّشْتُ عنْ نفسي بها فما	وجدْتُ غَير عبْرةٍ بعينْ
كل الذى لقيتهُ هنا	الحقدَ والشّرورَ مطبقين

* * *

مدينتى لا تعرفُ المطرْ	مدينتى لا تعرفُ القدَرْ
لا تُنْبِتُ الزيتون : لا يُرى	من فوق أمسياتها القمَرْ
لا ترعِشُ الأهدابَ إن مَشَتْ	عواصفٌ تهز فى الذِّكَرْ
لا تَنْحنِى من فوق دمعةٍ	لا تغمسُ الأهداب فى السَّحرْ
فى دورِها الطاعونُ	فى طريقها يموتُ كلُّ من عَبَرْ
تُرى صليبًا قاتمًا على	ظلامهِ قوافلُ البَشَرْ
.. فتّشْتُ عن نفسى بها فما	وجدتُ غير آهةٍ تمرْ
كل الذى لقيته هنا	الخوف ، والصراخ ، والخطر !

(١٩٦٣)

العالم والجرذان

العـــالم صــآر بلا جُــدرانْ　　العـــالمُ صـــار بلا إنســـانْ

العـــالَم شقّ مــفـــتـــوحُ　　قــد ضمّ بظلمــتــه الجـــرذان

تَــرنْـــُـو فـــى ذلٍّ أرضـــيً　　وتســـيــرُ فــتــندفق الأحـــزان

وتـهمُّ إلى النفس الحـــيــرى　　إن لـم تـتلقـــفْــهـــا الأجـــفْـــان

وتـــظـــلُّ بـــلا مَـــلَـــلٍ أبـــداً　　تَعْـــدُو من فَـــوقْ الأزمـــان

من فـــوق بقـــايا يائســـةٍ　　من أغـنيـــــة ، أو وهـم حـنـان

* * *

العــــالَمُ أصــــبحَ سكينًا　　يتــوهَّجُ فى قَــبْـــوِ الظُّلْمَـــةْ

ســـيَّـــان عليْـــه أنْ تـهـــوى　　من فَـــوْق حـــيـــاةٍ أو كِلْمـــة

بيــــدٍ يتــــوعَّـــد فى عنفٍ　　وبأخــرى يَهْـوى فى نقْــمـــة

فـإذا مـــا رفــرَفَ عــصــفــورٌ　　وامــتَـــدَّ جناحٌ فى نَسْـمـــة

وانـطـلـقـتْ ريـشـــــةُ فـنـانٍ　　لتــعـــود بلَوْنٍ من نجـمـــة

.. يحشدهم ، ثم يعاودُهمْ بالقتل على الجُدُر الجهمة
فتسيل دماءٌ ونفوسٌ وأغان تحتضن القمة
ويموتُ الموتُ على جفنٍ مسكينٍ لم يَعْرفْ حُلمه !

* * *

العالم لا يحوى فنًا إلا والسخط يغاديه
ما عاذ به قمرٌ طفلٌ يمشى لليل يُناغيه
أو حقلٌ تفرشُ ظلّتُه أفراحًا نائمةً فيه
أو قلبٌ يحلم فى دفءٍ بالحبِّ ، وآنًا يحكيه
أو طفلٌ يغمضُ أجفانًا من فوق خيال لأبيه
أو شيخٌ ينزل فى نفسٍ ليعود بماضٍ يَثْريه
.. فالناس به أسْرَى فشلٍ وبقيةُ وهمٍ مشدوه
وضحايا رؤيا غائمةٍ تنساق بأعماق التّيه !

* * *

العْالَمُ يُغلق فى حقدٍ مرتعد الجبهة .. أبوابَهْ
ويظلُّ يشدُّ بمخلبه النورَ الطفلَ وأهدَابهْ
لن يقبل إلا مغرورًا مَجْدورَ الوجْه ومُرْتابهْ
لن يُمْسك إلا فارغةً عجفاءَ الرُّوْح ولُبْلابهْ

لن يصغى للعطر السَّارى — فى الدّوح الصّاعد بالغابة

لن يسمعَ إلاَّ تنينًا — ذا ألف ذراع مُنْسابة

فإذا لم تصبح مرتعدًا — كذباب يلعقُ أسرابه

فاحفر فى العالم مقبرةً — وانْس الأيامَ الصّخابة

وطنينًا يخفى دُنيانا — دنيانا هذى الكذابة !

(٥ – ١٩٦٣)

رغم كل شيء

لا شيءَ له معنى أبداً فى هذا العالم لا شيءْ
لا شيءَ له ظل أبداً قد يلقى بعض الفيءْ
فالعالم يحكم نبضته الخوف الأصفر والقيءْ
والوهم ، وشيءٌ مجهولٌ لم يخمشه أبداً ضوءْ

* * *

العالم أوْلَمَ مائدةً		يائسةً قد مُلِئَتْ مَقْتا
وظنونا تهتزُّ وحقدا		وضَياعًا قد لمسَ الموتَ
فالناس به جزرٌ غَرْقَى		تتهاوى : لا تسمع صوتا
قد جَفُّوا كالشجر الذاوى		وانهاروا أوراقًا شتَّى
ما عادوا دفئًا ، بل صاروا		فى بَهْوٍ ممتقعٍ نحتَا
ما كان حنانًا وصفاءً		قد أصبح فى خوف صمتًا
فإذا ما اقتربوا فى عطفٍ		فالموتى قد زاروا الموتى !

* * *

لم أرفع صـوتى مـحـتـجًّـا   لأدين العـصـرَ وأشـواقـه

فـأنا قـد غـصتُ بضـجَّـتـه   ومـضـيت أعـانق أعـمـاقـه

وأتوَّج بـالشـمس حـيـاةً   تتـوهَّج تَغْـدو إشـراقـة

وأمـدُّ جناحـًا مـسـحـورًا   والموتُ يُفَـتِّحُ أحـداقـه

واليـوم وعـمـرى أصـداءٌ   وبقـايا حلم رقـراقـة

ألقـانى أسـعـد إنسـان   وبكفٍّ يحـضن أوراقَـهْ !

ويـدقُّ عـلى الموت بـكـفٍّ   يسـتنبت من شـوك باقَـةْ

فـالعـالم ممسـوخٌ لزِجٌ   منُهـارٌ ، مندفِعٌ ، أكْـمَـهْ

صلبَـتْـهُ أهواءٌ حـمْـقى   من فـوق وجـدران من ظُلْمَـةْ

ورمـتـه فى قـبـرٍ عـفِنٍ   لم يلمس فى يوم نسـمَـةْ

لكن الشـر بجـبـهـتِـه   قـد صار له خفْقُ النجمَـةْ

والعـار ، وأعـمـاق الموتى   لم تصبح أشـيـاءً جـهْـمَـةْ

.. هو عـصْرٌ غـيَّـر سحنته   وتمادى ، أسـرف فى النِّقْـمَـةْ

ولهـذا أكـبـر غـضـبـتـه   وأراه وحـيـدًا فى القـمَّـةْ !

* * *

لا شىء له معنى أبدًا فى هذا العالم لاشىء

لا شىء له ظلٌّ أبدًا قـد يلقى بعض الفىء

فالعالم يحكم نبضته .. الخوف الأصفر والقىء

والوهم ، وشىء مجهولٌ لم يخمشه أبدًا ضوء

(١ - ١١ - ١٩٦٣)

من ديوان

كلمات غضبى

١٩٦٦

الثقب

لو ألقَى ثُقبًا من إِبرة

لو أمكثُ حينًا فى هذا الثُّقب

فالدُّنيا ضَاقَت حتى أنِّى لا أتنفَّس

حتى أنِّى لا أنقلُ خطوى

من خَلفٍ أو من قدَّام !

لو تخطو أقدامى . . أتجاوزُ هذِى الدُّنيا

أهوِى فى جُبٍّ ليَس له قاع

فَحياتى مَوضع أقدامى

وَحُدودى تِلك الأَظفارُ العِشرون !

***

أمشى لكنَّ الخَطْوَ الآتى فَوْقَ الخطو السابق

أتحرَّك لكن لا أعْدُو الظُّفرْ

وأُحَدِّقُ لكنِّى لا أُبْصرُ شَيئًا

وببطءٍ يَنموُ فى نَفسى عُشْبٌ أسود

وَيَظَلُّ يُحَاصِرُ أَيَّامى
حتى تَتَوارَى فى أُوراقه
.. حتَّى لا يبدو مِنها شىء!

***

يا ذاتَ العَيْنين السمراوين
يا مَنْ صَحِبَتْنى فى الرحْلَةْ
يا خَمْس سنينٍ فى طِفْلٍ أخضرَ
يا مَن غَمَسوا فى مِلْحِى لُقمَتَهُمْ
يا مَنْ أكلوا من قَمْحة عمرى
يا أوراقى الصَّماء الْقَلْب
يا مئذنةً تتآكل قُرْبَ الشُّرفةْ
يا ديوانًا منْ شِعْرٍ لمْ يُكْتبْ بَعد
يا وَجْهًا يَتْتَبعُنى مَشجوجَ الجَبْهةْ
يا جِسْمَ الحزْنِ المطوطِ الساقَيْن
يا شيئًا لا يتراءَى فى الْكلماتْ
يا كُلَّ العالم منْ خَلْفِ الخطوِ الجامدِ
منْ بَعْدِ ذراعى مُمْتدًا
منْ بَعْدِ جُفُونى المهْترئة
والظُّفر اليابس بَعْد الظفر

يا كُلَّ الأَحْزانِ الْبازَلْتيَّة

.. إنْى قَدْ حوصِرت الْيوم

بالبُومِ الجاثمِ فوقَ الفَجر

والعينِ الحولاء النظرة

والفأرِ الآكل منْ قُرْص الشَّمسْ

والغربان الجَـوْعَى المْنقار!

***

فإذا ما ناديتُمْ فَجناحى لنْ يتحركْ

مصباحُ ضُلوعى لن يَتواثَبْ

فأنا لنْ أطمعَ حتى فى ثُقْب الإبرة

لأَعيشَ به من ضِيق العَالَم

.. فالعالم قَدْ شَدَّ الأَبواب

حَطَّ الأَقْفال عليها

استَوثقَ مِن كُل الشُّرفات

ومَضَى من غَير النَّظرةِ فى وجهى

منْ غَيْر التُّقب؟

لا رحمة

لا أسندُ ظَهْرى حتى للشَّمس

حتّى للأيّام الحلوة

حتى لذوى رَحمٍ مَحْرَمْ

حتى للأشجار الغَضْبى مِثْلى فى وَجْه الريح

فأنا وَحْدى طول العمْر

طول العُمْر !

لم يمسِكْنى أحدٌ – وأنا طِفْلٌ – فى كَفِّه

لم ألْو أحاسيسى مثْل اللُّبلابْ

لم أنشجْ كى ما تَرْحَمْنِى صَحْراءُ الجْوع

لم أحْنِ لإنسانٍ رَقَبة

لم أكْسر من صَخْر الرُّكْبة !

.. ولهذا تَنْهَالُ الضّرباتُ على كَتِفى الحجرى

ويَرانى بَعْضٌ مَيْتًا فى الأحْلام

أو مقسومًا بالسَّيْف إلى نِصْفَيْنْ

أو مثْقُوبًا برصاصٍ عِنْد الحائط

أو مطروحًا أعْدو نَحْو الرأْس المْقَطوع
أوْ أنَّ ذراعى مفصولٌ كلّه
حتّى لا تَتْبعنى الكلمات
أَو أَعْزف لحنًا أو لحنيْن
مِنْ قَبْل مَغِيب النُّور!

***

فكأنِّى «الهولندىُّ الطَائر»
مطروحًا فى الزَّمن المائى
وتُطاردُه كلُّ الأَقدار!
.. منْ يَهَوَانى يَنْسَى نَفْسَه
ويُحطم بين الصَّخْر .. وبْين الموج
يا للشيطان النَّاشر أشرعتى
القاتلِ أحْلامى فوق الرِّيح
الفاتحِ أجفَانى من دون النوم
الذاهبِ بى أبدًا نَحْو التِّيه
نحو التِّيه..!

***

وكأنِّى «عبدُ الرحمن الدَّاخل»
مَرعوشًا حتى قمَّة رأسه

فعليه أنْ يَختار
– والمْاءُ يَسيلُ بِجلْبابه –
إمَّا أنْ يرجعَ للأَعْداء
ويذوق الخبزَ المسْمومَ العاقِر
والملحَ المنطفئَ اللّونْ
والقيدَ الآكل فى الرِّجلين .. وفى العينينْ
.. أو يبصر قلبَ أَخِيه نِصْفين
والوردةَ من خَدَّيْه مُلقاة
عِنْد الشطِّ الآخر !

***

وكأنى الحلاجُ العاشقُ
«ذو الوجْه المائل كالوردة»[1]
يَتلقَّى منْ سَيْل العُضو المقطوع
جفنات الدم .. ويكْسُو الوجْه
كى لا يَبْدو ذا وجْهٍ شاحب
فى حَضْرة منْ يَهْوى قَلْبه !

***

(١) من قصيدة للشاعر التركى لامعى أهداها للسلطان سلمان كبير.

لا أطلبُ منْ يَبْغى الرحمة

أو يشفعُ لى عند السَّيْف الهائج

أو يَجذْب عن عَيْنىَّ الظُّلمة

أو يبكينى عند الموت

أو يحملُ لى بعض الزَّهْر

أو يتْبَعُنى حتَّى أُدْفَنْ

أو يَحْفر لى شِبرين بقَلْب الأَرْض

أو منْ سيقول بأسْنانه

«فَلْيَرحَمه اللّه!»

***

فكما قدْ عِشْتُ وحيداً مرتَعِشاً

فى عَيْنْ الشَّمسْ

أَمضى لا شئ يَتْبعنى

إلا الأشْجارْ

إلا الأنهار

إلا الأحجار

هذا الإنسان

هذا عَصْرُ الإِنْسانِ المخْطُوفِ اللَّوْن
والمشْجُوجِ الْقَلب
والنازف طُولَ الْعُمر
والْمستَثْنَى مِنْ أحْلامه
كى يُثْقَبَ
برصاصٍ ما بَيْن العينين .. ودونَ القلب
دُون الْقلب !

***

هذا عَصْرُ الإِنْسَانِ الجائعْ
والأم الْباكيِة الثكْلى منْ هَول الحرْب
والطفلِ اللأقم ثَدْيًا مَقْطوعَ الحلمَة
والجنْدى الْمقسوم النصفَينْ
والتلميذِ اللأهى بالحِكْمة
والشيخ المفقودِ العُكاز

والميِّت منْ قَبل الحُكْم

وبنات لم تَعْرفْ أبداً طَعْمَ الحبْ

والصدْرِ المعتصر الثديَيْنْ

ليوفِّر نِصْفَ رغيف اليوم

وشباب يَجْرَعُ جُمْجَمةً بعد الأخرى

لأبيه، أو لأخيه، أو أُمه

والكذْب المْنتصب الْقرنينْ

والبيت الخالى، والسِّجْن المأنوس

فى كلٍّ مكان فى العالمْ

فى كلٍّ مكان!

***

لا تَذْكُرْ أن عُصوراً أُخْرى كانتْ أفضَل

أو أنَّ الماضى يَعْلُوهُ تاجٌ سِحْرىٌّ

وزهورُ رُخام ثَلْجية

والشَّمسُ تُدحرج ما بينَ السَّاحة

والْبدْرُ يُرَى فى كُلْ قَميص

أو أن الطُّوبة كانَتْ مِنْ فِضة

والأخرى منْ ذَهبٍ أصفَر

وعلى كلٍّ الردهات أميراتٌ سَكْرى

وصليل قلوب

.. أو أنَّ الميزانَ العادل

قد يَهْدأُ في كفِّ الإنْسان المْعصوب العينين

أو أنَّ الزَّوجةَ كانتْ لا تَزْني في كلِّ دقيقة

إمَّا في السِّر . وإمَّا في حُجَرِ الشَّمْس

.. أو أنَّ الآذان الكَسْلى تُشْرع

إنْ تَمتلئ الشفتان بِحِكْمة

منْ ثَغْرِ حكيمٍ، أو إنْسانٍ مَحْنيّ الْعُمْر

.. أو أنَّ عجوزًا لم يصبح بَعد اللَّفتة

مَسْروقًا متبوع الخطوات !

.. أو أنَّ فتاةً قد حَفَظتْ قبل الفجْر

في جَبْهَتها بَعْض اللؤلؤ

.. أو أن هنالك من لم يَغْزل إحساسه

بِمضاجعة الأَرْحام وقَتْل الْوالد !

.. أو أنَّ الوالي لمْ يتحدَّث للفقراء

وَبِرِجْليْه خُفٌّ ذَهَبي !

***

«سُقراطٌ» رغْم الماسَة في كفِّيه

زَرعَ السُّمَّ القاسِي فيه الزّرْقَة

«موسى».. لما استَعْدى قَتَل المِصْرى

وتصايَحَ شَعْبٌ فى ظَهره

«عيسى».. قد عانى من أبناء الحيَّات

ورأى عنْ بُعْدٍ طُولَ صَليبه

و«محمَّد» خوَّفَ بالنيرانِ العُظْمى

وتراءَى والدم فى وَجْهه

وحزِينًا عِنْدَ الطَّائف !

وبمَنْفاهُ فى شِعْبٍ منْ مكّة !

***

فى كلِّ عصورٍ مرَّتْ بالإنْسان

قَدْ كانَ الصَّخْرُ يدق الأعْناق

والذَّبْح بسيفٍ مَشْحوذ الحَدَّين

والقتلُ بِسَهْمٍ مسمومٍ غيلة

ورصاصاتٌ ليْسَتْ تَرْحم

وقَنابل قد مُلئتْ بشعاع

ومَقاصِلُ لم تَهْدأ طولَ الليل

باسْم الْعَدل المظْلوم وباسْم الرحمة !

***

هى ذى أنْيابُ ذئَابٍ ما بين الفكَّيْن
وحوافرُ رغم الساقَين المْزهُوَّين
وقرون لا تبدو من فوق الرأس
ودماء تجرى من كف الإنسان
فى بحرٍ صَارَ عميقًا !

***

وبِكذْبٍ أو بِخداعٍ أو بِنَمِيمَة
لم يلبسْ إنسانٌ أبدًا وَجْهَه
لمْ تخفقْ فى جَنْبَيْه الطَّيبَةْ
لم يبسم مِنْ غير السُّم
لمْ يضرب إلاَّ فى مَقْتل
فالإنسان الشيطان
والشيطان الإنسان

الآخــــر

أنا أعرف أنّى ميتْ
لنْ أُغمضَ أجْفانى فى فَجرِ الْيوم التّالى
أو أَجْلس عند الطّرْف بمائدة الإفطار
أو أُشعلَ فى بُطءٍ سيجارة
وأراوحُ ما بيَنْ الْكلمات بلقْمة
وأمدُّ العَينْين لطفلٍ يبْسمُ مِنْ خَلْف النومْ
ويُراوِغُ كَىْ لا يلبسَ مَرْيَلتَهْ
أو تَتْبَعُنى عَيْنانِ تُشيعانِ الحب
أو أَجذبَ بابى من خَلْفى!
.. فأنا قَدْ يَقْتُلنى الإنْسانُ الآخر
- والدُّنْيا لم تُولَد بَعْد
منْ بَطْن الظُّلمة!-
بِحديثٍ جَهْمٍ عند البابْ
أو من كلماتٍ فى ركْن الهاتِفْ
أو من صَوْتِ باكٍ لِمذيع

أوْ مِنْ عَدْوٍ بحذاءٍ ذى رَقَبة
فَوْقَ السُّلم
أوْ منْ نَظراتٍ تَعتقلُ الشُّباكَ.. وكلَّ المنزلِ
حتَّى الأنفاس !

***

أنا أعرفُ أنى ميِّت
فأنا لنْ يُسْلمنى المْنفَى للْشَارعْ
والشارعُ لن يمشى منْ تَحْتى
فورائى من يَتتبَّعُ رُوحى فى جَسدى

مَنْ يَحْضُرنى فى هُدْبَيْه !
.. وَيجَنْبى شَىءٌ مجهولُ الوجْه
يُغْرينى أنْ أُلقِى تُفاحَةَ قَلْبى
أو قطعةَ نُور منْ عَيْنى
أو ألمس أبراجَ الموت
ويكاد جدارٌ أن يهوى
وَتهمُّ نجومٌ أنْ تَسقط
لكنَّ الشارعَ لنْ يُعْطِينى هذا الْبيتَ بناصِيته
لن يُسْلمنى - مَهما واصلْتُ السَّير - إليه

ما أبعْدَ ما بْين الطْرقات وكَفَّى !

ما أبعْدَ ما بينَ الجْفنين وماءِ النوم . !

***

لو أنَّ الإنسانَ الآخر

لا يَتْبعُني حتَّى باب البيت الضَّائع

بين الظُّلمة

لو أن الموتَ بِحُرية

يُشرى ويُباع كما تُشرى وتباع الأشياء

بَدلاً من أنْ يَتَقافَزَ مِثْل القرد

فى غَابات النْفس !

بدلاً منْ أنْ يَغْدو كالدُّمية فى كفٍّ الإنسان

فالموتُ الآخذ بالأنفاس

لم يأخذْ مبْلغَ ما أَخَذَ الإنسانُ

بهذى الأَرض !

الخوف

كانَ أَنْقَى منْ شُعاعٍ فوُق زَهْرة

إنْ مَشى يَفْرح قَلْبُ الأرضِ تحته

وإذا ما غابَ يومًا

.. تَضْمُر الدُّنيا. وتَذْوى!

***

قد عرفْنا الحُزنَ كلَّه

وتَقَاسَمنا اللَّيالى

والرَّغيفَ المتهدِّل

قَدْ جَلسْنا كل عَصْرٍ عِنْد مَقْهى

نَشْربُ الشّاىَ ونَحسُو

عُمرنَا فى الدَّهر كله

بالملاعق!

.. لَسْتُ أنْساهُ يُغَنى كلَّ حينٍ لِيْلَنا

ويُحيطُ الكونَ كلَّه

بشريطٍ منْ أغان؟

***

وإذا جُعْنا ودارتْ كَفُّنا فى المائدة

مالتْ الأيدى ببطْءٍ.. ثم جَفَّت

فالذى أُسْقِط فى الْفكَّيْن قَلْبُه

يا لَقلْبه

وإذا ما الحُزْنُ هوَّم

حاشراً منْقارهُ فى كلٌ نَفْس

لاقِطًا من كلٌ قَلْبٍ حَبْته

.. يجْذبُ الطيرَ الخُرافىَّ إليه من جنَاحه

ويُسَاقيه دِماءه!

***

كان كالدَّمعِة فى عَيْن اليتيمِ

يَزْرعُ النُّبْلَ ويَسقيه ليُقمرْ

ويَشد الشَّمس - كى تَبْقَى -

إلى أنْ ينْتهى مَنْ يتحدَّث!

***

وبيومٍ كان مثْلَ الجرحِ يَنْزِفْ
وأنا أُنصتُ فى حُزنٍ لجرْحِه
قال «كلْمة !»
فإذا بى أنكرُ الأَحْرُفَ منه
وظَلَلنْا نَتَحدَّث
وحروفُ الكلْمة السوداء تَنْمو
وصَمْتنا ، ثم عُدْنا نَتَقرَّى كلَّ حَرْفٍ.. كُلَّ حَرْف
ولهاثُ الكلْمة السوداء يَصْعَد
ثمَّ زاد الصَّمْتُ حتَّى أنَه صارَ بُحَيْرة
غير أنَّ الِكلْمَة السَّوداءَ تُثْمِرْ !

***

وإذا بى خائفٌ أمْسِكُ قَلْبى
أُسْقِط الرَّأسَ بكفىَّ وأرْنو
«هل تراه بَاعَ نَفْسه ؟»
«هل تُراهُ باعَنِى ؟»
«هل تُرانى أتوهَّم ؟»

***

مَنْ تُراهُ زَيَّف اللؤلؤَ ما بينَ المحارْ
وتَمطَّى مِثْل ذئْبٍ فى ثَنايا كلَّ حَرْف

وأراق الود منْ آنية الحب القديمة

إنَّه ليْسَ صديقى

إنَّه ليس صديقى !

عصفور من الصين

(١)

مَرَّتْ سَاعَةْ

والعصفورُ الفَرْحانُ يَطيرْ

قَدْ ظَنَّ الأَمْرَ مزاحًا . . أو لا يخرجُ عنْ لَهْوٍ عابث

فتراقصَ بالرِّيش المُزْهوِّ على الرِّيح الخَطِرةْ

وتمايل فى فرحٍ – بَيْنَا مُنْقَارُه –

يمتدُّ لكيما يُمسك خَيْطًا من زُرْقَة

وخُيوطًا أُخرى قَدْ نُسِلَتْ من ثَوْب الشَّمْس

. . قد كانَ قويَّ القَلْب

فترامَى حتى شارفَ أفُقًا لمْ يُطرَقْ

حتى ظَنَّ بأن اللّه يُطِلُّ عليه

ويُمَسِّحُ كفًّا فى ريشِهْ

يقتل الصينيون أحيانًا العصافير بأن يستمروا فى دق الطبول أربع ساعات دون توقف، حتى لا يتركوا لهذه العصافير أملاً فى العودة إلى الأرض.. وبعد هذه الساعات الأربع تسقط العصافير مجهدة لتموت .

ويمرّرُ أنملةً فى تَاجهْ
ويداعبُ ألوانًا أخرى فُرِشَتْ فى الذَّيْل
سَالتْ فيما تحت الرأس .. الصَّدْر .. البطن
ويقولُ له «ماذا تطلب ؟»
يا عُصفورى .. ماذا تطلب ؟
فيهزُّ الرأسَ، ويُرْخِى الذيْلَ، ولا يُلْقى بالاً
ويميلُ بأجنحته
فلقد ذكَرَ الأرض !

(٢)

مَرّتْ ساَعة ..
والعصفورُ الحيرانُ يَطيرْ
ويراوحُ ما بين الرِّيشاتِ المُهتَرئةْ
وتَنْدّيه مَاسَاتٌ صُغْرَى فَرّتْ من شَعْرٍ أزغَبْ
وبمقلته تَتَهاوى بَعْضُ الأشياء
أو يبدو الشيءُ الواحدُ .. شَيْئَيْن
.. حتى النَّسماتُ الواهنةُ السَّكْرَى
صارت ثِقْلاً فَوْقَ الرِّيشْ
حتى أزهارُ النُّورِ المغرورة
صارتْ أحجارًا بين الأَرض وبين الأُفق

شَدَخَتْ رأسه

كَسرتْ قَلْبه

فتمايلَ – حتى إذْ ظنَّ الظَّن الأَسْود –

نَفض الرِّيشَ العابِس

رَفَع الصَّدْر السَّاقطْ

شَدَّ القلبَ المكسورَ، مع الذَّيْل المُرْخَى

التفَّ.. وَحوَّم.. واستعلَى

وتَوارى في غيمة!

(٣)

مرتْ ساعة..

والعصفورُ المجروحُ يَطيرْ

قد غابَ قليلاً في نفسه

أقْصَى نَفْسه

كيْ يذكُرَ أياما مرَّتْ واهْتزَّتْ بينَ الْعُشّ

وغناءَ الْفَرْحة من حوله

والقَشّ يطير بمنقارَيْن

والشمسَ تُقسَّمُ في كفَّيْن

والبحر يَصِرُّ بمقْدار الحسوة

وحُروفَ السَّقْسَقة الأولى

وَحليبَ الفرحة من حوله

والقمْحَةَ فى جَنْب القمحة

والغيمةَ فى حُضْن الْغَيْمة

.. ما أكثر ما فرحَ العالم

لما مدَّ المنقار وقال:

«صَو .. صَوْ»

وتَعَلَّم أشياءً أخرى

وتنقَّل ما بين الأشجار.. الأهداب.. الغيمات

وتَضاحك من قَمرٍ أخضرْ

ومن الدُّنيا بمناديل العشّاق.. وفى صُوَرِ الفلاحين

ومن الأولاد اثْنَيْن.. اثْنَيْنْ

.. وأفاق قليلاً من نَفْسه

كى يَسْقط فى غيْمٍ آخر

من عينيه!

•

(٤)

مرَّت ساعة

والعصفورْ الباكى أرخَى عُمْرَه

قد مال جناحٌ فوْق الآخرْ

عُقدا.. جفَا.. عجزا

مالا نَحْو الأرض

- ما بين الأُفق النَّائى

والأَرض المنتظرة -

ذكر الشَّدْوَ الماضى فى أُذن الأرضْ

والنَّقرَ الدَّائم فى شُبَّاك الْفَجْر، وأحْلامِ الفلاحينْ

والرَّحمةَ كلَّ الرَّحمةِ بالأَطيار الزُّغبْ

والعَدْوَ وراء الدَّيدانِ الشَّرهة

كى ما يأتى المحصولُ وَفيرَ الحنْطةْ

ومصادقَة الأنسام المِمْراحة

ومُصاحبةَ جميع الأَوراق

والسيرَ وراء خُدودِ الأزهار الحُلوة

من بَدْءِ البذرة!

.. وتضيعُ الذكْرى من عَيْنيه

فترشُّ الأرضَ الصَّخريَّة

قطراتُ الدمْ

وبقايا الرِّيشْ

والمنقار المشقوق

والقلب اليابسْ

والسَّاعات الأربع!

(٥)

لَكأنى أعرفُ إنسانًا كالْعصفور الصِّينى
فى حلقاتٍ من عُمر تَقْربُ من أربعْ
لكنْ سيجاوِزُ هذى الساعاتْ
سَيُخلِّى هذى الساعات وراءه
فليقرعْ أصحابُ الطَّبْلِ .. الطبلْ
ولتتناثر من أيديهم
قطرات الصوت
وبقايا العزم
والطبلُ المكسور
والقلبُ العاجز
.. من يبلغ سور الساعات الأربع
يحيا من هو الريش ، وفرحانَ النبرة
إنيِ من أيَّام ألقاه هناك .. وأبصرهُ
يتخطاها ... يتجاوزها
ويثير غبارًا
ويسابقهم فى أكثر من ميدان
ويحط السيف مكان السيف
الوردة فى حُضْن الوردة !

ليس القمر

فى قَرْيتى
يَتَسابقونَ إليه فى شوقٍ حزينْ..
ويتابِعْونَ الطَّيْرَ حتَّى يَخْتفى بين العيون
وَيشيِّعونَ فراشَةً كادَت تموتُ من الحنين
ويهمهمونَ ببعْض صَمتٍ فى نُفوسهم دَفين
وَيُلمْلمون الذكريات الشَّاحبات على الجبين
فَيَرَوْن - والدُّنيا على أكتافهم - مُستَسْلمِينْ
وَيُرَوْنَ - فى الصمت الخرافىِّ الْبَدين -
لوحاتِ فَنَّانٍ تَغَطَّتْ بالترابِ وبالسنين!

***

فإذا أَتَى
خرجوا بلهفتهمْ من الألوانِ..
يتدافعونَ إلى الحديث بلاَ مكانٍ أو زمانِ
فَكأنَّهم يتعطَّشوُن مع الحنان إلى الحنان

وكأنهم طيرٌ يميلُ جناحهُ فى كلِّ آن
وحكايةٌ لأميرة خُطِفَتْ هناك على حصان
.. قرءوا السَّلام، وأوغلوا فى رِحْلةِ النِّسيان
حتى أشارَ مُحدِّثٌ، واغرورقَتْ عَيْنان
فرأوْه يُزْهر فى نفوسِهمُ بالاطمئنان
فدعوه من ورق الظَّلام الحالم الوسْنان
فاهْتزَّ، واستحْيَا. وخَفَّ لعالم الإنسان
وإذا به فى مَجْلسٍ متآكل الأَجْفان
وإذا به فى النفسِ يَنْقرُ صَخْرة الأحزان!

***

قد صارَ
يملأ كلَّ قلْبٍ بالْعديد من الصُّور..
فتراه أشواقُ العقيم الطفلَ مَشْدُودَ الأُزُرْ
وتراهُ بنْتٌ فارسًا قد دَار حول المنْحدَر
ويَراهُ فلاحٌ خجولٌ صُرَّةً مُلِئَتْ دُرَر
والشيخُ يبصرُه الغريب يعودُ من بعد السَّفَرْ!
.. فَرِحُوا به. وتَحَسَّسُوه بكفِّهم حتَّى السحر
حتَّى إذ ما همَّ، واسْتعلى.. وأوْغَل، واسْتَتَرْ
تَرك الهدايا للذين اسْتنزلوه على حَذَر!

أعطى لبنتٍ دُوَّةً فى خَيْط نُورٍ مُزْدهِرْ
وَلِكلِّ أَخرَس.. ألف حَرْف واثبٍ مِثْل الشَّرَر
ولكلِّ محزونٍ.. زُهورًا منْ بساتين السَّمَرْ
ولكلِّ من وقَفوا هُناكَ وظهرهم عند الحُدُرْ
أملاً بألاَّ يُثْقَبون، ويَسْقطون إلى الحْفر!

***

سعدوا وقالوا
«كانَ صاحبنُا القمر»
وأنا هتفتُ بأنه – والليْلُ يغرق فى الضَّجر –
قد كان شيئاً آخراً حلموا به طُول الْعُمر!

من ديوان

الحب والموت

١٩٦٨

بطاقة اعتذار

لم تبردْ فى القلبِ النارْ

لم تسقْط فى الرّوح الأشجارْ.

لم تذبلْ أزهارُ النفس السكرى بالشوقْ

.. أنا أدرى أنَّكِ عطرتِ الغُرْفَةْ

أكثرت من الأزهار الزرقاء النجوَى

حَضنَتْ كفَّاك المقعدْ

اخترت مع الثوب .. العقْدَ .. الخاتمْ

شبَّكت مع العِطر الموسيقى

أرْخيتِ الأهدابَ الفرْحَى فوق الصوت القائلْ

« .. إنى قادمْ

من آخر هذى الدنيا سوف أجىءُ الليلة

لن يمنعنى إلاَّ الموت !!

* * *

فإذا ما خفَّ الصوتُ الهاجسْ

تسجتنى فى حبٍّ أشواقُ العينينْ

من خطوٍ ريَّان صامد

من ريح لاذتْ بالشرفة

من لؤلؤةٍ فى قلب البحر المُنْصِتْ

من همس المذياع المقرور النبرة

من وجهٍ يأتى فى الأحلام إذا ضاق الليل

من صَوتى يعلو فى أنفاسك

من خطْوى ينمو فى أعماقكْ

من دقَّات عشرٍ فى الحائط

من حزْنٍ هابط !

* * *

لكن الأزهار السَّكْرى تطرُقْ

والعقدُ يصير كعبْءٍ لامع

والخاتمُ يوشِك أن يسْقطْ

والحجرةُ تمشى فيها أقدامُ الضيق

والصوت القائل

« .. إنى قادم

من آخر هذى الدنيا سوف أجىءُ الليلة
لن يمنعنى إلاَّ الموتْ !

* * *

يا لؤلؤتى
لا ترتجفى فى قلْب الحجرة
فى هذى السَاعِة من هذا اللَّيلْ
لا تُلْقى تفَّاح الخدِّ الغالى فى كفِّك
لا تلوى أعناق العطر الأزرق
لا تذرفْ عيناك الْعتبَى
لا تلقينى بين الأدمع !
فالموتُ القاسى فى الماضى كان السكينَ لكلِّ العشاق
ما جاء لإنسانٍ إلا مرَّة
.. لكنَّ الموتَ اليوم هو الأبواب، الردهاتْ،
وهو العربات العَجْلَى ، والكلماتْ
وهو الدقَّات على بابٍ ماتْ »
والناس الغضبى فى الطرقات !

* * *

فلتغفر لى عيناك الموت

الآن .. وكلَّ الأوقات !

الآلات العصرية

أطفأنا أنوارَ العالم

شَتَّتْنا أحلامَ الكون الورديَّة

تُهنا .. ذُبنا .. متْنا في داخلنا

لمَّا أصبحنا مثل الأعداءْ !

.. أُلقي كلماتي في بئرٍ صامتْ

أتلمَّسُ في كفيك مقابض من معدن

أتمسّح في أهدابٍ صمّاء

* * *

.. حتى عيناك – رفيقا عمري – ناحَا ، ارتعشا

مالا عني ! غابا في غُشَّيْ صمتْ

من غير غناء !

* * *

لَمْلَمْتُ الأحرف جنْب الأحرف
لكنَّ كلامى لما يوقد شمعَةْ
جمَّعتُ ورودًا جنب ورود
لكن حوارًا لم يُسمع فى الألوانْ
حَدَّقتُ ولكنِّى لم أبصرْ شيئًا
إلا أطرافًا بادية من دمعةْ
.. إلاَّ لوعةْ !

* * *

صرنا آلات عصريَّةْ
لُعَبًا ملأتْها أيدى الناس
نَستيقظُ كى ما نأكلُ، نَعمل ، نغفو فوق حديد الليل
.. أمَّا أن نأخذَ كفَّ الكون إلى نُزْهةْ
أو أن نتقاذفَ بالشمس الزرقاء على الملعب
أو نغفو فى أبهاء الأقمار
أو نقفز من فوق الأجيال
أو نبنى بيتًا فى كلمات خضراء
.. فأحاديث لا تستهويها الآذان
وكلام لليالٍ قمراء !

* * *

يا صاحبتى

صِرْنا غرباء

العالمُ غيَّر فينا الأشياء

أصبحنا إنتاجًا خزفيًا أجوفْ

نَتشابَهُ حتَى فى السَّقْطَةْ

حتى فى الأجزاء المحطومةْ

.. نرجو لكن ما نرجو لا يتحقق

نشدو لكن بكلامٍ مكرورٍ صلْد

نغفو فنرى نفسَ الأحلام المحفوظةْ

فى كل مساء !

* * *

من جمَّدنا

من عطَّل محورنا ؟

من صيرنا ذرَّاتٍ حيرى ليستْ تعقل ..

إلاَّ ما يعقله الناس

إلا ما يرجوه الناس

فى حزن أو إعيْاء !

من أجلك أنت

قد قلت : بأنى ما زلتُ الفارسْ

وبأنى موعودٌ فى هذا العصرْ

وبأنِّى يمكن أن أعطى الخصبَ .. الأنهارَ .. الغيماتْ

الدفءَ .. الحبَّ .. الفجرَ المستْلقى فى أرحام الظُّلْمَةْ

السنبلةَ الخضراءَ لكل الجوْعَى

الغضبةَ من أجْل الصَّرعى

البسمة للإنسان العابسْ !

الشمعةَ ، والصوت الهامسْ !

* * *

يا صاحبتى

كسروا من يُمْنَاىَ السيفَ العادلْ

شقُّوا شمسى نصفْين

لفُّوا سجَّادَ الحقل الأخضر

هدموا المعْبَر !

وضعوا من حولى الأسلاكَ الشرهةْ

والموتُ الرَّانى من وجْه الحارس

أخذوا فرسى من تحتى لما ثارَ النَّقْعُ القاتل

لما انفجرتْ بطن الخوف

لما طارتْ رأسُ السيف

وتهاوتْ كلٌّ الرايات

وبقايا الكلمات !

* * *

يا لؤلؤتى

لن أصبح فارسَ هذى الأيامْ

فأنا فى هيئته فوق الرِّيح

فذراعى قد يبدو فى صُورةِ من يضربْ

لكن من غير السَّيف يصيح

.. والجبهةُ يصرخ فيها الضوء

لكن من يقْرَبْه يبصرْ رسْمًا

.. والصدر تمدَّد بين حديد الأفق

لكنْ من غير نجومٍ تلمع فيه

.. والجسم ترامى نحو الخلف قليلاً
لكن لا شيء يُرى تحته
فقد البْغتَةْ !!

* * *

يا سوْسَنَتى .. لا تبتئسى
فى الماضى سيْفى كان الحق
فكُسِرتُ . طُعِنتُ . هُزمتْ
والآن أجرِّبُ من أجل الحبّ
من أجلك أنتْ !

الشجرة والعصفور

لا تتركْنى فى هذا الرُّكن الغافى من بستْان العاَلمْ

لا تغْمضْ عنِّى عينيك !

فأنا أورقتُ الليلةَ فى أرضٍ الحزنْ

عابشتُ الريحَ . مسكتُ جناحَ الكون

عرَقَتْ روحى فىِ الضَّوء المهزوز

ناجَى الجِذرُ الساقَ . الأوراق . الأثمارْ

قفزتْ من قلبى وردةُ نار

دبَّت فىَّ الرُّوح رُموز

من فوق الفيروز !

دبَّت أسرار

من بين النار

فى الماضى قد ذبلتْ أوراقُ النفسْ

شُمَّتْ أحزانٌ من خَشْخَاشِ الصَّمْت

تَبعثْ إحدى الأوراق الأخرى

حتى العُرى القاسى فى عين الشمسْ

.. فرميتُ بأَعْبائى فوق الجذْع اليابس

وغفوتُ . غفوتْ

شارفتُ الموت !

* * *

لكنّى من رأس الحزن المكسور المنقارْ

من أعماقٍ كسْلى صَدفيَّة

من نومٍ مثل رخامٍ بارد

.. أحسستُ بوسوسة الأحلام المُرَّةْ

وبأنَّ فؤادى يثقبُ صدرى

ويميل كوردَةْ

فحزنتُ لعجزى . ثم بكيتْ

.. وهبطتُ بمقدار الورقةْ

فى الأرض القَلِقةْ !

* * *

وترامى هذا الليل الأسودْ

إلاَّ من ماسات النور الفرْحى

ومن القُرط النجمىِّ الحالم
فرأيتُ سكونى قد مُزِّق
ورأيت نسيمًا ، ثم رفيفَ جناح
وإذا عصفورٌ حطَّ على
شاغل فىَّ الخصبَ الميِّت
دقَّ المنقارَ بغصنى فاخضر
مسَّ الأوراق الكسلى فارتعشَت
قال اتبعنى .. فعدوت
غرِّد .. فشدوت
كُنْ نورًا .. كنتُ النور
صرْ ظلاً .. صرتُ الظل

* * *

يا هذا العصفور العاشِقْ
فلتنزل فى عمرى ضيفًا
ولتأكل من أثمار الأشعار
ولتتبعنى .. حتى أطراف النارْ
لكن لا تتركنى وحدى فى هذا الموسم
فبقلبى شىءٌ يمكن أن يُعْطَى
شىءٌ - كالشمس - بدون غبار !
شىء هدَّارْ !

النيران الوثنية ..

فى الماضى لم أَمْنَعْ قلبى عن عشقٍ قاتلْ :
البنتُ الضاريةُ الذئبةْ
يتَشهَّاها قلبُ الأرضْ
.. البنتُ المجهدةُ السكرى
كهديل النُّور على شجرةْ
... البنتُ التائهة المشدوهةْ
من لا تبدو إلاَّ فى شال الرَّمز !

* * *

لكن حبيبى يحيا فى قلقٍ مُجْهَدْ
يتحدَّث عن بيكاسُو ، عن سنغورٍ ، عن بيتهوفن
ويطيلُ الوقفةَ عند قضايا الإنسان الأسودْ
ويحبُّ أغانى فيروزٍ .. ويردِّدها
ويقول ويُصْغِى .. فى وقتٍ واحدْ

ويحبُّ الموسيقى ، ويناغىْ كل جديد فى الكون

ويُرَى فى شَعْرِ الغلمان الواثب . .

ويُرى فى هيئتهم !

. . فالصدرُ يخاصم تدوير الرمان

والشَّعْرُ يطلُّ إلى أسفلْ

والهدْب يُغنِّى من خلفِ زجاجٍ لامع

والطولُ . . بمقْدار المعزوفات العْجلَى

والتَّصفيق الوادع !

. . لم يثقل كفَّيه غيرُ الذهب المكتوبْ

لم تَجْذبْ أذنيه إلا أقراطُ الموسيقى

لم يعرض إلاَّ ماساتِ الشِّعْر الكبرى

يرى بالراء العجْلى ، والصوتِ المبحوح الأشقر

وخيوط شحوب منغومٍ من حول الوجه

مثْل الأفكار السكرى فى رأس العصر !

* * *

ما أسعدنى أن لاقانى

فبعمرى نيرانٌ وثنيةْ

أشواقٌ لم يحدودبْ منها الظَّهر

أحلامٌ لم تتقوَّس كالقططه

نبعٌ لم تلمسهْ شفةٌ ظمأى

وعلى أقدامى آلافُ الرقصات

وبصدْرى كل الأمنيَّاتْ !

* * *

ما زلتُ خفيفًا فوق الأرضْ

فلتمسك كفى ، ولنذهب فى قلب العصرْ

وعلى كل النجماتْ

فلأن نتطاير فى قْلب الحركةْ

خيرٌ من أن نبقى فى عشٍّ ساكن

فى أشجار الأمواتْ !

رحلة سعيدة

كنا نسيرُ لا نحُسّ غيرنَا
وغير وردةٍ من السماءِ فوقَنا
وربوة تعجّلت فلم تلمّ ثوبَها عن صدْرها
لكى تضمَّ عشبَها، وزهرَها
واللوزَ ، والزيتونَ ، والحزنَ الخفيفْ
وأوّل الخريفْ !
والطير تجرى بينما أعناقُها
ملويَّة .. كما ترى
شقائقَ النعمان تبدو مجْهدَه
وحنانَك الممتدّ نحوى
والدّمعةَ المشرّده !

* * *

كنّا نسيرُ لا نحسُّ غيرنا
وغير ضجَّة من الصّحابِ حولنا

وخطونا الذى يظل سائراً مهاجراً

فى عالم مغْرورقٍ بلا حدودٍ ظاهر

فإننا – وقد تركنا أرضَنا –

كنا نسيرُ فى أعماقنا

كنا نجولُ فى نفوسنا

* * *

كنا نقولُ فى طريق النَّفس للقَرارِ .. للقرارْ

من بعد أن مسَّت أقدامنا الأغوار

وناحَ منقارٌ على منقارْ

« .. لو أننا نظلُّ هكذا بِعُرْينا

بِصَمتْنَا ، بالشَّمس فوق كَفِّنا

بألْف طفلٍ نائم فى خصبْنا

.. لو أننا نتوهُ فى أدغالنا

وتَلْتِقِى خطوطُنا الخضراءُ فى استْوائِنا

ومن جديدٍ ننتْقى أصواتنَا ، ألغابنَا

ونقسمُ الحروفَ والثمارْ

واللؤلؤَ الفريدَ فى المحارْ !»

* * *

ويمسكُ الذراعَ منى فى الطريقْ

فى ذلك الدَّرْب الخرافىِّ العميق

والعمر يبكى شاكيًا مغرورقا

« .. لو أنتى أظلُّ ساندًا كيانهُ الرقيق

فى عالم النفس الرَّمادىِّ المباركْ

فى ذلك الفردوس حيثُ البذرة الأولى، وبدءُ الخلْق

والصرخةُ العذراء عند ضغْطةِ المضيقْ

وشهقَةُ العقيق ! »

* * *

لكننا يا ويْلَنا

نفيقُ فوق عالمٍ يهزّنا

يُضيعنا، يحاصرُ النَّقاء بيننا

يشدُّ كل ريشةٍ فى جسمنا

ويُفرِغُ العبيرَ من زهورنا

وينزع الوميضَ من حديثنا

ويكْسرُ الرُّخامَ فى أبهائنا

ويرفع التاجَيْنِ عن أحلامنا

.. يدور دورتين .. يرتمى

يهوى بسيفٍ فوقَنا

فنغتدى نصفْين ضائعْين

ويستمرّ الكون فى جهامته

يحرّك الحياةَ مثل كل يوم

قبيحةَ ، بليدةً مُكرَّرة

ونحن تحت سقْفها نموت ، نغدو واحداً

فى موتنا

فى حُبنا !

من ديوان

السيف والوردة

١٩٧٥

فارس الفرسان(*)

أســمعُ الآن خَطْوَهُ فى المدينة يُوقظ الفجْرَ يستثيرُ السكينةْ

شامخًا، واثقًا، مضيئًا بمَجْد ومُديراً على السَّماءِ جفونَهْ

علقتْ بالرِّداءِ بعضُ نجومٍ وغَدَا أكبر النجوم .. جبينَهْ

.. كلُّ شيء يمسُّه يتندَّى ترتمى فوق سوره ياسمينَةْ

فالزهورُ اللِّطاف رفَّتْ عليه ثم دارت أضلاعه .. « قنَّينةْ »

والنجومُ الكبار دارتْ ، وأضحى كلُّ نَجْمٍ قصيدةً موزونةْ

والبذورُ البكماءُ همَّتْ ، وطارتْ فوق كلِّ الرءوس أوراق زينةْ

نصْفُها لم يزل على كفِّ طفل والبقايا والخيطُ .. شدًّا عيونَهْ

مَنْ تُرى يحملُ الشموسَ بكفٍّ وله وجْهُ أُمةٍ مَطْحونَةْ

* * *

قُمْتُ فى فرحةٍ أُبَشِّر أَرْضى أرفعُ السِّتْر عن مُنًى مسْجونَةْ

ها هو العائدُ الذى انتظرته كلُّ أُمٍّ فى البلدة المحزونةُ

(*) ألقيت فى مهرجان الشعر بالعراق المنعقد فى أبريل ١٩٦٩ .

وترامى حكايةً فى الليـــالى ‏ من شيــوخٍ وفتــيــة يذكــرونَهْ

وبدا « مصحفًـا » بكفّ صبيٍّ ‏ وعلى صـــدر طفلة « أيْقُــونَةْ »

.. رفع الرأس ذروة ، وتمشّى ‏ قــمــراً فى ليـــلاتنـا المطعــونَةْ

فــهــو فى الحقْل رحلةٌ بدأتهـا ‏ خَفْقَةُ الجذْر فى الشّقوق الدَّفينَةْ

وهو فى رهبة الصحارى صلاةٌ ‏ فـوق سجّادة النجوم الثمينَةْ

وهو فى الليل وردةٌ من عــذاب ‏ فى الوجُوه السَّمراءِ ذات الخشونَةْ

وهو فى وجْـه أُمّتى حين قـامتْ ‏ فـوق أحـزانهـا الكبـار المهينَةْ

* * *

رغم شَرْخ على السَّماءِ عميقٍ ‏ عــاد من غُـربةٍ فتًى تعـرفـونَهْ

قــد رأى الأرض غـابةً فكســاها ‏ بغـنـاء ومــــدَّها زيتـــــونَةْ

قـد رأى الحقَّ أبكمًـا ، والمغَنِّى ‏ لا يُغَنِّى لغَـيْــر من يذبحُـونَهْ

ورأى النَّاسَ مـيِّـتين حـيَـارى ‏ رغم مـا فى جلودهم من ليـونَةْ

ورأى اللَّيلَ بحْـر حُزنٍ سحيق ‏ غَـرقَتْ فى دُجـاه كلُّ سـفـينَةْ

.. عادَ فى كفِّه المنَى .. لا عصا « الـ ‏ [م] حجَّاج » تَهْوى ثَرْثارةً مَجنُونَةْ

عـاد لا يحـصـدُ الرءوس ولـكن ‏ يحْصد الذُّلَّ فى الحياة المهينَةْ !

* * *

لكأنّى به يســوقُ ربيــعًـــا ‏ للعصافير فى الحقول الضنينَةْ

ويُغَنّى منْ فـوقِ طفلٍ رضــيع ‏ وَجَد الشَّدى شَقَّقَته العفُونَةْ

ويذود « التتارَ » منْ كلِّ جنس بعد أن زلزلوا بحقد حُصُونه

ويمدُّ الرِّداءَ فوق صَهيلٍ صيَّر الأرضَ خُطوة مأمونَةْ

وينادى على « الحُسَيْنْ» لكيلا تُسقِط الرأْسَ مَرتَيْن الرُّعونَةْ

ويعيد القنديلَ للمسجد الأقْصى ويمشى على الروابى السجينَةْ

* * *

لكأنى به يُطلّ ببطءٍ فوق أحزان أُمَّةٍ مسكينَةْ

وحواليه من يقولُ بعمْقٍ يومنا مَدَّ ساقه وغصونَهْ

ويدور الحديث عَذبًا مضيئًا عنْ رؤاهُ وموكبُ الشمس دونَهْ

كيف ساقَ الحياةَ سَوقًا كريمًا وسقَاها صَفَاءَهُ ويقينَهْ

كيف نادى من جانب الطور يومًا أرنى وجهك الذى يعشقونَهْ

كيف للسُّحب قال – وهو ببغدادٍ سيأْتى خَراجُ ما تمطرينَهْ

كيف أَهْوَى بسْيفه فوقَ وَحْشٍ ظلَّ منْ فترة بباب المدينة

وتَرامىَ بجيشه يَعرُبيًا حين نادتْ عليه ثَكْلى حزينَةْ

.. وسَقَى اللّيل مئذنات وأدنى قمرًا مُزهرًا بسَقْف الضَّغينَةْ

فإِذا الأرض جنةٌ ، وانبهارٌ وإذا الأُفقْ ماسةٌ مشحونَةْ

وإذا جُرْحُنا حَديقةُ وردٍ وإذا الصَّمْتُ غنوةٌ مفتونةْ

.. وإذا الفارس الذى انتظرته أُمّةُ الْعُرب فى الليالى المشينَةْ

مائلٌ، شامخٌ، مُدِلٌّ بمجدٍ ومديرٌ على السّماءِ جُفَونَهْ

علقَتْ بالرِّداءِ بعض نجومٍ وغدا أكبر النجوم .. جبينَهْ !

بَعْدَ السُّقوط

بلَدى أُحسُّك فى دمائى جنَّةً ... فجريَّةً ، منغومَةَ الأرجاءِ
صاحبتُ فيك النُّور طفلاً ألْثغًا ... يخْطو على سجَّادةٍ خضراءِ
وتبعتُ كلَّ فراشةٍ فى روضْة ... تَعْلُو .. وتَقْفزُ .. أو تدورُ إزائى
وصنعْتُ فلْكًا من غُصُون حديقةٍ ... ودفعتُها .. فاهتزّ قَلْب الماءِ
وتسلَّقَت عينى سماءَك ضاحكًا ... وقَطَفْتُ أبْعد نجمةٍ زرقاء !
وأملْت أطرافَ الْهلال لكىْ يُرى ... فى جانب منه على الشعراءِ
وبجانبٍ منه على الشعْب الذى ... قد عاش يضْربُ صخرةَ الظلماءِ
.. وأظلُّ أُوغلُ فى الضِّياءِ وشَوقه ... حتى أرانى صِرتُ بعضَ ضياءِ !!

* * *

بلدى .. وأرْضُك قِصةٌ مبهورةٌ ... وقصيدةٌ من شاعرٍ بنَّاءِ
أصبحتَ مَبْقُور الخيال بمخْلَب ... ومُجَرَّحًا تلتفُّ بالبغضاءِ
وعلى جبينك روعةٌ مهزومة ... وعلى سمائك سَجْدَةَ الخيلاءِ
.. إنى أُعيذك أنْ تُرَى مُغرورقًا ... تَهْوِى إلى الإصباح فى إعياءِ

وتُرى إذ جَنَّ الدُّجى مُـحْـدَوْدِبًا	تَهْـتَـــزُّ فى عُكَّـازةٍ شَــوْهاءِ
ويراقِص الفجْرُ الوجودَ ، وتنزوى	طفـلاً يتيـمَ الخطو فى الضَّوضـاءِ .
والشمسُ تَخْجَلُ أَنْ تراك فـترتمى	فى أُفْقِها .. وتميلُ فى استحْياءِ
وحِـصـانُ نارِك لا يهمُّ صَهيلُهُ	إِلاَّ ويُرخِى صَهْوةَ الإِصْغاءِ !!

* * *

بلدى أتذكرُ - بعد مَجْدٍ - فتْيَةً	عبروا إليك سكينة الصَّحراءِ
ومشوا إلى قَلْب الوجود بفرْحَةٍ	فـاخـضَـرَّ منه يابسُ الأنحـاءِ
.. من علّم العربىَّ يجعلُ فارسًا	والرُّومَ فى كـفَّـيْـه عُشَّ غناءِ
من علّم العـــربىَّ إِزْهار الدُّنا	بالْعَـدْل ، والحـريّة الوطفـاءِ
ويشـيـد «قاهرةً» لزاد مسافـر	ويشـيـد «أندلُسًـا» لطرْح عَناءِ
ويقـول للفقـراءِ هذا عـصـرُكم	فـامـشـوا إليـه بعـزَّة الفـقـراءِ
ويمدُّ رجْـلاً فى المحـيـط بعـزَّةٍ	ويطيـرُ بالأهداب فـوقَ سمـاءِ
ليقـول : ياربِّى لأجلك لَم تَعُدْ	أرضٌ، فكيْف أسيرُ فى الأرجاءِ ؟

* * *

بلدى ، وكمْ أرْضٍ رأتنى صاعدًا	صَـحْـو المطار ، وزُرْقـةَ الميناءِ
لكنَّ شيئًا لمْ يجاذبْ لهْفَتِى	عن ضفَّتَـيْـن .. ضفيـرتَىْ إغراءِ
عن فأْس فلاحٍ تَصيحُ .. فيرتمى	شـجـرٌ بقلْب البـذْرة العـذْراءِ
عن فرحة الأطفال بين وجوههم	قمْحُ الحقـول ، وسمرةُ الأفياءِ

وعن المواويل الغريقة فى الدُّجى　　　والخوف ، والأحزانِ ، والإيماءِ !

.. ما أعمق الجرحَ الذى فى جوفنا　　　والجُرْح بعد الجُرح فى الأعْضاءِ

لكنَّ ثأرًا عاتيًا مستعصيًا　　　فى الشَّعب، فى الآباء، فى الأبناء

فى صهوة النِّيل العتىِّ ، وقادمٍ　　　متوشّحٍ بالرَّاية الزَّهْراءِ

.. من أجْل هذا الثأر نقْتَحِمُ الدُّجى　　　نلتفُّ متَّحدين تحت لواءِ

ونموتُ لكن فى استدارة جفننا　　　صُورٌ لطيبةِ وجْهك السَّمراءِ

ونَمُوتُ مظلومين لكنْ لا يُرى　　　فى وجْهنا المدْحُور وَرْدُ بكاءِ

.. أوّاهُ يا بلدى سقطتَ كدمعةٍ　　　من أعْين الموتى على الأحياءِ

فاغفرْ لمن عاشوا تعاستكَ التى　　　لمّا تزلْ كالنّار فى الأحشاءِ !!

* * *

بعد السُّقوط .. يفيضُ نَهْرُ تعاسةٍ　　　ويشبُّ فى الأعماق غابُ شقاءِ

لكنَّ شيئًا غاضبًا ، متدافعًا　　　يَمْشى على أيامنا الحَدْباءِ

ويعيدُ للقدس العظيمةِ مريمًا　　　فى طهرها، ومسيرةَ الإسراءِ

ويقول للشعراءِ سوف يظلُّكم　　　وَجْهٌ من الرَّحمن فى سيناءِ

ويقولُ للشعْب الذى عصَف الردى　　　فى نفسه بسنابل الأضواءِ

عاودْ مسيرتكَ العظيمةَ ، وانتفضْ　　　واصعدْ ، وحلِّقْ فوق كلِّ سماءِ

١٩٦٧

موشّح للعودة

رفرفَ القلْبُ ودَقَّ الشَّركَا   ثم هزَّ الشَّوقَ نَحْو الشَّفقِ
طالما قد مالَ نحْوى واشْتكى   مالَهُ يجتاح صدْرَ الأُفُق

ثمَّ دارتْ حولَهُ كلُّ النجومْ
وتمطَّتْ عن روابيه الغيوم
والأغانى ، والصَّبايا ، والرُّسوم
قد غدتْ فى أفْقه الحانِى تحوم

إن أَكُنْ عشْتُ الدُّنا فى قلقِ   وتمشَّى بين أجفانى الْبُكا
فالذى يُبْقيه منِّى رَمَقِى   سوف أبقيه عَزيزاً ملَكا !

* * *

يا صديقى فى فؤادى جنَّتى   والجِرارُ الخُضْرُ والْوَرْد الأَنيقْ
كلُّ شىءٍ مائلٌ فى حضرتى   فاقطف الحكمَةَ وارقصْ فى الحريق

فـأنا أُثمـرُ في كلِّ الفـصـولْ
وأُغنّي لحـيَـاةٍ لن تزول
كلُّ من أبصـرني عند الوصـول
يتـوارى .. ثم يطويه الذُّهول !

الصَّـبا هَبَّتْ لأبناءِ الطريقْ
والسَمواتُ تُحاذي جَبْهتي
أيها الحادي إلى وادي العقيق
ليس في الأكوان إلاَّ جُبَّتي !
يا أُهَيْل الحيِّ قد وافى الْغريبْ
ورياحُ الشوق تخْطو قَبْلَهُ
فـتلقَّوْه بإنشادٍ وطيبْ
واضْربوا الدُّف ، ودُوروا حولهُ

هو قد تاه طويلاً في الزَّمانْ
وغدا نجماً ، وبستان حنانْ
فلقَدْ كان لأهلْ العشق حان
ولأهْل اللهِ قد كان الأذانْ !
ها هو الفجْرُ الذي غنَّى لَهُ
يَحْمِل الْبُشرى إلى وجْهِ الحبيب
أَنْزلُوا يا قوم عَنْه حِمْلَهُ
فهو بعد اليوم عنكم لن يغيب !

القرية الخالدة

يا قـــريتي وعـليك الصُّـــبحُ مــؤتلِقٌ

« عـمِي صـبـاحًـا » فـإنَّ الخَـصْبَ قـد جـاءَ

ألا تـرينَ حـــمـــامـــاتٍ ، وأشْـــرعَـــةٍ

وأُغـنـيـــاتٍ وأنســـامًـــا ، وأضْـــواءَ

ومن يعـــودُ وَفي عـــينيـــه فـــرحـــتـــه

ومَنْ يحـــومُ عـلى الآفـــاق بـكَّـاءَ !

قـــالتْ : رويدك يا هذا فـــقـــد عـــبـــرتْ

تلك السنون ترانيـــمًـــا ، وإصْـــغـــاءَ

قـــد كنتَ « أدْهَم » لَيـلاتي ، وفـــارسَـــهـــا

« والسندباد » ولكن صِـــرت أصـــداءَ

يـا طـالمـا ســــرتَ من جِـــذْرٍ إلى ورق

حـتى اسـتـحـالَ وجـودي فـيك أفـيـاءَ

وكم دفـعتُ - وصـمتُ الليل مـحـتكم -

نَجْـمًـا بصـدْرِي حـتى صـار إغـراءَ

وحين همَّتْ نجومٌ أن تطارحنا

بالشِّعر قَلْنَاهُ مزْهواً وبنَّاءَ

.. العطْرُ كان ستوراً حول جلْستنا

والأُفق كان سحاباتٍ وَوَرْقاءَ

ثم انطلقتَ إلى دنيا مَزوَّقة

ترتَجٌ شَدْواً ، وموسيقى ، وأزياءَ

بالأمس قلتَ كلاماً عن محبَّتنا

وعن زهور نَمَت فى النفس إنماءَ

وعن صبايا كما قَدْ قال جدُّكُم

« حمر الحْلى والمطايا » سِرْن إعياءَ (١)

لكن نسيتَ سليمى ، ثم عاتكَةً

وما ذكرت وراءَ الخْيفِ أَسْماءَ

.. واليوم ترجع فى كفَّيك لؤلؤةٌ

وفى الجبين يرفُّ الزَّهْوُ لألاءَ

أكاد أُنكرُ طفلاً كان يملؤنى

وكان يُسعدنى صُبْحًا وإمساءَ !!

فقلْتُ : يعلمُ ربِّى كنتِ أُغنيتى

وكان صوتْى إلى عينيك إيماءَ

---

(١) الإشارة إلى المتنبي.

فكلُّ خطوة شـوق كنتُ أَقطعـهـا
كـانتْ إليك – مع الأَشـواق – إسْـراءَ
وكلّ فَـرْحـةِ لْونٍ لامستْ أُفـقى
أطلقْـتُـهـا وردةً فى النَّفْس وطفـاءَ
وكلُّ بسـتـان حـبٍّ كنتُ أَدخلـه
كنت النـمـاءَ لـه ، والنـورَ ، والماءَ
كلُّ الْبـلاد طريق نحـو أَيكتنا
فـقـد حـملتك فى عـينىَّ خـضـراءَ
فـهل تُراني – وفى الأَعـمـاق لهْـفَـتُـهـا –
أَلْقى بكلّ وجُـودى فـيك إلْقـاءَ ؟

***

قـالتْ : « أَخطُّك فى عـينى وأُكـحلهـا »
والشـعـر أسْـدله لـيـلاً وإغـواءَ
ثمَّ اعْـتنقْنا فَـصـرنا جنَّةً نهـضتْ
وآدمًـا هزَّ عـنـدْ الخلْق حَـوَّاءَ !!

***

يـا قـريتى أنْتِ كلُّ الكون فى خلَدَى
إذا تـرحـلْـتُ ! أَو آثـرتُ إبـقـاءَ !

(١٩٧٣)

من ديوان

دقات فوق الليل

١٩٧٧

الشاعر والعالم

يا قلبى ماذا يفعلُ إنسانٌ شاعرْ

فى هذا العصر الْفُولاذىّ الجائر .

فى القانون المتوارى من خَلْف السيفْ

فى سبع سنابل لم ينضجْها الصيفْ

فى صوت الإنسان المكروبِ المسكينْ

... فى النصف الثانى من هذا القرنِ العشرين !

هذا الصوت القائلْ

«... إن لم تَقْتلْنى أقتلْك

هذى الأنثى لى أو لَكْ

هذى اللُّقمةُ لى أو لَكْ

اذكرْ أبداً لن يُصبحَ شىءٌ لاثنينْ

... لن يُعْطى شىءٌ لاثْنينْ

إلا إن كان السيفُ الواقعُ ذا حدَّين اثْنَين !!»

* * *

فى هذا العصرْ المهزول الضَّامر
لن يَعْرفَ إنسانٌ آخَر
لن يعْشوشِبَ حُلمٌ فى أهداب العُشاق
لن يَنخَلِعَ ٱلقَلْبانِ بوقت فِراق
لن يَصْدُقَ إنسانٌ فى ميعاده
لن يذكر زوجٌ فى أطراف البابِ زمان العودَةْ
فهناك بحارُ الموتِ الشاسِعة الممتدَّةْ
لن ينظرَ إنسانٌ فى عين محدِّثِه . . . أو فى كلِماتِه
فلكلٍّ عالمُه المُصْمَت !
. . . ومُحالٌ أن يَتطلَّعَ إنْسانٌ فى ذاته
أو تَغْدُو الدُّنيا كُرةً فى أيْدى الصبيَةْ
أو فى لوحات الرَّسام الماهر
أو فى تمثالٍ باهر
أو شِعْر الشَّاعر !

* * *

يا ذا الوجْه المعشوقِ الباهرْ
ماذا نفعلْ ؟
هذا عصرُ السَّائحْ
والبيتِ المُستأجَرْ

والكُتْب ذوات الأغْلفة الحمراء
والآساد المستَأنَسة الجوْفاء
وبنات يُسْتَدْرَجْنَ الليلة
من فوق شَريط الماءِ لقاءَ قُروشٍ مَعْطُوبة
هذا عَصْرٌ تُعطِى فيه الشَمسُ رُطوبَةْ
هذا عَصْرُ العدادات المنصُوبَةْ
حتَّى من فوق شفاهِ الناس !
هذا عصرُ الوَسْواسِ الخنَّاس ، والآهِة فى صَدْر النَاس
... فى كلِّ مكان فوقَ الأرض
فى خَطِّ الطُّول وخطِّ الْعَرضْ !

***

يا هذا
إما أن تضرب فى حيث يكونُ القلبْ
أو أَنْ تتدلَّى فى أعماق الجُبْ !
احذَرْ... لا تتركْ أيدى الإخوة حَتى لاتُلقَى فى بئرٍ مفقود القاعْ
أو تُذكر فى عطف «لا تَثْريبْ !»
أو تَحسب أن أباك سَيبْكى حتّى تبيضَّ الْعينانِ من الحُزْنْ
أو أن الرؤيا فى السِّجْنِ العاتى لنْ تتحقَّق
فترى رأسًا لا يأكلُ منْهُ الطَّيرْ

أو كاساً يحْسُو منه إنسانٌ غيرُ الملك «الصَّاهل»
أو أن النسوةَ فى مصرٍ لا يقطعن الأيْدى من أجلك
ويقلن بخبث «إنْ هذا إلاَّ ملَكٌ» نلقى صِدْقَهْ
من بين الشَّهْقَةِ بعد الشهقة!
فالأزمانُ الآن
عن أزمات قد ولَّتْ.. مُنْشقة؟

* * *

فلتذكرْ - ياذا الوجْهِ المعشوقِ الْباهِرْ -
أنَّ الدُّنيا صارتْ غير الدُّنيا
فعشيقتُك العَصْريةُ ما زالتْ فى الخارج عند طبيب الأسْنان
وعَزِيزُ الدَّار تمطَّى لاَيعْنيه شىءٌ إلا أنْ يَحْلُمْ
وخزائنُك الملأى غصَّتْ بالجُرذان
وقميصك فى دمِه لن يُبْكِي غيرَ الذئب
أمَّاَ يعقوبٌ فهو يحثُّ خطاه الليلة
- فى معطفه الخالى من كل بَشاشة -
كىْ يَشْهَدَ فى شَبَقٍ من فَوْق الشّاشَةْ
إحدى قصص الحب؟

* * *

يا يوسُف

ما عاد يدقُّ القلب

فاهبط للجُب ؟

اهبط للجب ! !

فى البدء كان العصيان

لم أولدْ من بطن الحَجَرِ المتدلِّى

فى بيت الرِّيحْ

إنّى مولودٌ من عشْق العالم

من نطفته الحرَّى... كالمهرِ تصيح

من عُنْفٍ فى قلب الساعات... فسيح

إنِّى مولود - والدنيا تبكى من حولى -

من قلب فيه جروحْ

من طوفانٍ عاتٍ مبحوح

فأنا ولدٌ عاصٍ لم يتبعْ - فى خوف - صَوْتًا من نُوح !

* * *

لكنى - ياوجْهاً طِفْلِيًا - قد أُنكرت

فى هذى الأيام العرجاء المحتضرة

فى هذى الساعات البكماءِ المنتحرة...

... لا تذكر أنَّ فساداً في قلبِ الثمرة
فأنا لم أملك أيَّامي- والموت يهزُّ الجذع المائل -
أن أبقى في رأس الشجرة !!

* * *

لا تصرخْ يا ربَّان الفلك
«اركبْ معنا»
لا تُرسِلْ صوتًا مشروخًا يبكي... يتوسَّلُ من حولي
«إنَّ ابني من أَهْلي»
لا توقدْ لي من بين الدمع نجومًا من غُفْرانْ
لاترسلْ نحوي غُصْنًا في منقارٍ فرحان
لا تَخْفق من حولي بجناح الرَّحمةْ
فوحيداً... ثم وحيداً سوف أظلُّ على القمة
مهما اندفعتْ في روحي أقدامُ الطُّوفان
مهما نقرتْ في عيني أسرابُ الِغربانْ
وتباعد عني من أهْوى
«منْ كُلٍّ زَوجَين اثنين»
فأنا لم أعشقْ معصيتي في هذا اليوم الغضبانْ
إلا لأرى عُرْيي الأولْ

إلا لأراني – والدُّنيا تُطْوَى من حولى –
ملكًا فى أرض النسيان
شيطانًا مهتاجًا يأبى أن يَسْجُدَ للإنسان !

* * *

فى البدْء الأَلثغ والدُّنيا تَتَخَلقُ فى الصَّمت العريان
رُفعَتْ – ياوجهًا طفليًا – راياتُ العصيانْ !
ذُبحتْ فى طوقِ حمامتنا الألوان !!
... فلماذا نطفئ فينا فى هذا اليَوْم البركان
نغدو آسادًا تَحسب أنّ حواليها القضبانْ
... من خوف القضبانْ
ونُرى تُحَفًا فى البهو السلطانى الممتد العمدان
ونرُى أذيالاً ليست تهدأ للجرذان !
هل أروع من أن يبدأ إنسانٌ دنياه الغَضْبَى
ملتفًا بالعصيان !
ومضيئًا بالعصيان ؟!

العنوان التائه

- إلى فدوى طوقان -

يا صاحبةَ العينين الطَّيبتينْ

والصوت الممتلئ الريَّان

بشقيقات النعمان

بسنابل حزن في الهُدْبَيْنْ

بنجومٍ بعد نجوم تكْسر في الخدَّين

كيف الكلمات تجيء إليك ؟ وأين ؟

من أزمانٍ يا وجهًا عَدْنانيًا يبكي

ظلَّت تتنزَّلُ في «نابلس» مائدة للشِّعرْ

فنمدُّ الأيدي نحوَ دموعِ النَّكْبَة

ونصيبُ من الآلام الحبةَ بعد الحَبة

ومن الزُّقوم النَّابت في أقْصى القلب

نتقاسم خُبز الغضبةْ

ومن الكلمات الرائعة العذبة

نتحسَّس جسم الغربة
... والآن نمدُّ إليك الكفين
ونَمدُّ مع القلب العينين ! !

* * *

قولى شيئًا عن هذى الأيام المثقوبة
فلقد صرنْا جُثَثًا ، أثمارًا معطوبة
غصَّتْ بالقتلى البيارات
قفزت من «نهر الأردن» تلك الموجات
شربتْ من بعد جفافٍ كلُّ الصحراوات... وكلُّ المرتفعات
وغداً تعطينا... يا لَعطاء الأموات ؟ !

* * *

... فهنا نهرٌ سَيُسَاقينا ماءَ الأعْيُنْ
وهنا جَبَلٌ ستُكلِّله كلُّ الهاماتِ المقطوعة
وهنا أيامٌ من تاريخ العالم منزوعة
... موتانا لم نقتلهم مرَّة
فسنقتلهم فى مائدة الإفطار
وسنتركهم فى كلِّ مساءٍ فوق النار

... فلنندب موتانا بالصَّوْت الواحد
ولنندب كلّ الأحياء الموتى بالصوتين !!

* * *

من أيامٍ جاءتنى منك رسالة
فيها أشياءٌ عن بيت مسحور
عن أزهارٍ تتسلق فى أكتاف السُّور
عن شِعْرٍ فى منقار العصفور
عن شيءٍ فى هذى الدُّنيا مكسور
... فيها شيء عن ديوان مبهور
سَمُّوه «أمام الباب المغلق»
فيها شيء محزونٌ مُطْرِقْ
يا خَوفى إن حفروا حول البيت «الخندق»
إن غُطِّىَ مصباحٌ بالَّلوْن الأزرق
إن حَوَّل إنسان ما - فى يوم - تلك الكلمات لخَيْمة
أو للفُنْدق !

* * *

يا أختاه
ما عنوانك ؟

ما عنوان «العربى التائه»

فى هذا العصر المهزول الشائه

... فى الماضى قد بكت الخنساءُ أخاها

لكنك تبكين الآن الأُمَّة

... فى هذى الظُّلمة

لن يجدىَ صَوْتٌ يهتفُ . يَصْرخ «وامعتصماه!»

فى أرض شُقَّتْ فى الماضى نصفين

والآن يضيع النصف الثَّانى... فى حربين

فى موتْين !!

ذات النورَيْن

ما أقسى ما عاشت ذاتُ الوجه القمرىّ المحزون فى هذا العصر المجنونْ

فالسمرةُ من عينيها قد ضاعتْ تحت المصباحْ

والبسمةُ فى شفتيها أضحتْ رسْمًا فى أيدى السُّيَّاح

... لكنْ فى سقطتها لم تصبحْ جاريةً فى مخدع

لم تَعرِضْ عَدْنانيَّتها للسيد فى أَقصَى المخدع

لم تصبح تنهيدًا، ومداعبةً ، ولهاث حَنين

حتى لا تعطى للأيام هجينًا... بعد هجين!

* * *

لما سقطت من تحت الأقدام

فى ستة أيام

والدنيا صارتْ – واحزنى – شَرَكا

والعالمُ لم يُخْفِ الضحكا

جمعتْ حبَّاتِ العقد إلى حبَّاتِ الأجفان

لـمَّت عن نهديْها مزَقاً من عِصيْان
نظرتْ فى حُزْنٍ مكظومٍ ومُهان
ثم استلْقَت تمثالاً صحراويًا للأحزان
... ما أروعها بين الأحزان المشتبكة
- حتى فى سقطتها - تلك الملكة!

* * *

... فى ماضيها عرفتْ بأسَ «الفرس»
عجمتْ عُود «الروم»
خفقَتْ للطِيبة تنبع مثل الجدول من قلب «الحَبشَةْ»
لكن ما أسرع ما ألقت قنديلاً فى الظلمات المرتعشة
هذا النَّبْعُ الغافى مَنْ نَبَشهَ ؟
فإذا الدنيا فى بحر النور تعوم
وإذا الدُّنيا - ولقد كانت كَسَدُومْ -
كتبٌ ! وزهيراتٌ، ونجوم!

* * *

هولاكو... لم يترك فى مقلتها إلا دمعة
ولقد ماتَ الفرسان الزُّرْق الأعيُن

فى خيمتها من دَهْشة

حتّى من قد قالت «وامعتصماه»

قالتها فى كِبْرٍ عربى تيّاه!

حتى لما سقطتْ من عينيها «غرناطة»

لم تصبح أيامُ الأحزان كُرَاتٍ مطاطة

حتى لما أنْ أرهقها سيف «الحجّاج»

لم يكسر فى كَفَّيْها - رغم حصاد السُّخط - المصباح الوهّاج

لم تهرب من قلب البحر العربى... الأمواج!

فلتبتسمى يا ذات العينين السوداوين

يا من قد قالوا عنْك «بَعيدة مَهوى القرط!»

... لا تبتأسي إن مَضَغَتْ «هندٌ» كبداً فى الشدقين

... لا تنزعجى إن جاءوا فوق الرُّمح برأس شهيد اللّه «حُسْين!»

... لا تبتئسى إن ضاعتْ ماسات من عقدك

فلسوف نعيدُ الكبْر إلى نحرك

... ولتبتسمى

يا ذات النورين!!

اسم جـار

في مقهى عصرى يستلقى مثل الْهِرّ على ليل ناعم
ويضىء بعينيه الخضراوين العالم
أحسستُ بأنى نقيتُ الدنيا فى نفسى
وغدوت خيوط النور الصادحة الأولى
وصفاءً طفلاً مأمولاً !

* * *

قد حرّكنى هذا المشهد
فهتفت لنفسى : فليخلدْ
فلأطلقْ فيه أزمانًا تَبْقَى
فلأحشدْ فى جَنْبَيْهِ البرقا
لكنى لما أن أشرعت أحاسيس الشاعر
أبصرت عيونًا ترمقنى ، تهوى بى فى جب فاغر
... لكنّى لما حَرَّكتُ اللونَ الوارف
أبصرتُ الدنيا من حولى مثل الإنسان الخائف

وإذا ألواني ذابلةٌ، وإذا وجهٌ مملوء بالأعين

يتحدث عني في الهاتف !

* * *

كانت أمسيّة

لما حركتُ بها «قطع السُّكر»

أبصرتُ كأنَ الدنيا من حولي تتكَّسرْ

لما قَرَّبتُ فَمِي

أبصرتُ دمي

لما أنْ قلتُ لجاري : ما اسمك؟

قال : الحجَّاج !

لمْا حاولت المخرج

لم ألقَ سِراج!

من تجولات الحجّاج في الليل

(حبس الشَّبْلي فدخل عليه جماعة، فقال : من أنتم؟ قالوا: إنّا محبُّوك يا أبا بكر، فأقبل يرميهم بالحجارة، ففرُّوا فقال : إن ادَّعيتم محبتي، فاصبروا على بلائي وقال بعض السَّلف : أحق الناس بأن يُتَّقَى، العدوّ القويّ، والصديق المخادع، والحاكم الغشوم!)

المقدمة : منشورات عامة

يا أهلَ الكوفة

لايجتمع اثنان

إن يجتمعا فالثالثُ سوف يكون السيف !

... لا يُلقى إنسانٌ أذنه

إنْ سارَ وخلاّها فسأقطعها

وسأقطعُ منه الكَفْ

فلقد كان الأحرى بهْ

أن يحشرها في أذنهْ

إشفاقًا من صوت الحرف !

يا أهل البصرة

لن يذهب إنسانٌ نحو المسجدْ

لتكون صلاةُ عشائهْ

من لم يلزمْ بيتَهْ

لم يلزمهُ عُنقُه !

يا أهل الكوفة

لن يَشْكُوَ إنسانٌ ظُلما

فالظُّلْم هو القانون العام !

لا يحلم إنسانٌ حلما

فسنرقب كلَّ الأحلام !

وسنستدعيكم من جوف الراحة !

ولتحذر تلك الكفُّ اليمنى

من تلك الكف اليسرى

فإذا حَنَّا فالسيفُ هناك ! !

يا أهل البصرة

لن آخذكمْ بالسيف على غرَّة

فأنا أهوى أن أنظر فى عينىْ مقتولى

... وأحبُّ الدم

لا أعشق منه الخيطَ المنبجسا

لكنّ الشلاَّل الشرسا !

... أنا أعرف أنى أحصدُ ما زرع الله

لكن لا يعنينى نبضٌ فى الحقل الأخضر

ما يعنينى أعناق سنابلكمُ إذْ تهْوِى فى البيدر !

....

يا من ماتوا قبلى

أفلتم من بطشى

لكنى أقتلكم فيما أنجبتم ! !

يا من لن أبصرهم من يومى هذا

إنى فى هذى الساعة أقتلكم ! !

الليلـــة الأولى

لما صاحتْ في الليل الأبواب

من تحت مخالب دامية، وسِباب

من تحت حذاءٍ مشقوقٍ، ومؤخِّرةٍ لسلاح لامع

أصغتْ حتى أحجار البيت

حتى «رأسُ الشارع!»

حتى قمرٌ قد كان يطلُّ على ليل الشاعر

ويناغمه لكن في هذى الليلة

لم يُلْمَحْ خوفًا من أن يُسْجَن بين سحاب

عامًا أو بضعةَ أعوام من غير استِجْواب!!

* * *

في هذى الليلة

قد كانتْ سبعة أعوام في طفل أخضر

تمشى فرحًا! تتبختر

وتغنّى ما حفظ الأطفال

فى صوت ريّان بالضَوْء وبالماء

«ياعاسكارى يابو بونديقيه»

... لحظات ثم تدق عصا الحجّاج على تلك الأغنية

بحثًا عن رأسٍ أينع فى تلك الأمسيّة

فيجفُّ الطفلُ ، ويسْتخذى من خَلف الأهداب

وتموتُ عصافيرُ الوادى ! ويضيعُ كتاب !

ويغطّى وجه العصر عذاب... أىُّ عذاب !

* * *

... أما العامان بسوسنة فى عمر الطفلة

فلقد ضحكا ، لعبا ، عبثا فى رأس الأرنب

لما دار اللولبْ

لكن لما أن دقَّ المخلب بعد المخلب

وقفت أذنا الأرنب

لم يلعب...

فلقد كانت لعبٌ أُخرى تَجْرى فى البيت

تتواثبُ ، تلهث ، تحمل وجهَ الموت

فى ليلٍ ممطوط مثل السرداب

ليل كذاب !

* * *

لكن لما عُدنا لهدوء قاتل

وتنفس نورٌ فى قلب المِصْباح الذأهل

والطفل تماسك فى عينيه الضوءُ الأشهب

والطفلةُ همتْ فى خوف أنْ تعلب

... أحسسنا أن العالم من خَزَف أجوف

وبأنَا متْنا فى دُنيانا المنهزمة

وحزمنا فى رُعب «حَزمَ السَّلمة»[1]

وبأنا لم نلمس شيئًا فى هذا الليل

إلا ويصير سراب !!

... وبأنا لا نخطو فى هذا الليل

إلا ويصيح غراب... بعد غراب !!

---

(١) من كلمات الحجاج بن يوسف الثقفى فى خطبته المشهورة بالكوفة.

الليلة الثـانية

كُنَّا فى أحْضان الليل المسحور
نتبادلُ فى حب عنقوداً من نور
ونُغَنِّى فى أطراف الليل المقرور
بسطورٍ.. بعد سطور!
قد حولنا الدنيا كرة فى أرجلنا
وبنينا بيتًا فى أحد الأنجم
وأملْنا إبريقا من نيسابور!
فإذا «كِسْرى» فى قاع الكأس يدور
فى هذا الليل المقْرور
قد قال صديقى فى صوتٍ مبهور
«... قد عشتُ زمانا أحلم
أنى أتجوَّل وحدى فى بستانْ
وأجْمع ما فيه من ريْحان
وشقيقات الملك النُّعمان

وبشوقٍ أنسجها وأسير لبنْت السُّلطان

لكن الجند يفرِّغ منْ أوراق الورد... العطرَ

وسِحْرَ الألوان

فأميل بقلبى من فوق الشوك الظمآن

فإذا أزهارى تَرْجعُ. تنمو فى فرح وحنان !»

* * *

ويطلُّ حواليه فلهذا الحلم بقيَّة

فى إحدى القاعات الأَمَوِيَّة

فعصا الحجاج تُفتشُ فى أعماق الناس

ولقد عثرت فى هذا الليل الخنَّاس

عن إنسان يحلم

فدعا الحرَّاس !!

* * *

... لما انحدروا من فوق تلال الصمت

خَفَّضنا فى خوفٍ منَّا الصوت

... لما دقُّوا بابَ البيتْ

فُتحتْ أجفانُ الموت

... لحظات ثم نرى رأساً يُلْقى من فوق السُّور
ودماً يتدفق، يأخذ شكل زهور
ويعيد على الدنيا الحلم المقهور!

* * *

آه ستظلُّ عصا الحجاج تدور... تدور... تدور
من فوق عظام العصر المصدور!!

الليلة الثالثة

فى أبهاء العصر الأمَوى
رَسَمَتْ كفًا طفلٍ صُوراً «للحجاج الثَّقفى»
... الرسمُ الأول للحجاج يُعَلِّم بعضَ الصبية
الرسم الثانى للحجاج يسير على طرقات
موحشة، ومخوِّفة
فله بستان سوف يُثمِّره فى جمجمة الكوفة
... أما الرسم الثالث
فالناس به تمشى برءوس مقطوفة!
قد رُوِّع والده لما أن أبصر رسماً بعد الآخر
فالبيتُ زجاج
وبأىِّ مكان يَخْطُو سوف تراه عيونُ الحجاج
... لكن قد واراها فى جُبَّته لما وجد الغفلة
قد هبتْ - مثل نسيم - من فوق الحرس
الممتدِّ على دِجلة!!

* * *

لما أن قال : سألقيها من بعد طواف

لاقى فى الأطراف السيَّاف !

لما أن قال : سأُلقيها فى ركن من أركان الديوان

نبتت فى داخله عينانْ

وتَجَشَّأ شرطى غضبان

من بين الشريان !

... لما أن قال : سأُلقيها بعد العودة

ناحت فى تجْويف العنق الوردة !

* * *

وتضيق الدُّنيا فى عينيه حتى تبدو مِثْل الخاتم

ويجيشُ الصمتُ الأجوفُ منداحًا فى جوف العالم

حتى يلقاُه - مصطدمًا - صوتٌ ممطوطٌ ضَحْل

يسترسل فى حَمْد الرحمن على ما أعطى من رَجُلٍ فحل[(١)]

فيطير عن الدنيا لمكان ذى أبراج

... لكن فى آخره قد كان الحجاج !!

(١) قال المهلب عن الحجاج : الحمد لله لقد جاء العراق رجل فحل .

الليلة الرابعة

شيء ما في هذا الليل المقتول
قد أرهقهُ ... قد داهمه
قد غيَّر في عينيه الأشياء
قد شدَّ جذوراً من تحت الأشجار الخضراءْ
وأحال الدُّنيا صامتةً صفراء
إلاَّ من صَوْتٍ في أعماق الليل يقول :
«... من يحمي في هذى الأيام غُصونَ الزيتون
من ينتظر البُشْرى من سيناء
من يشهد أن العصرَ دميمٌ، والأيامَ سجون
ويُغنِّى للمعصوبة أعينهم
من قبل السَّقطة في بئر الظلماء !!»

* * *

... ويضيء قليلا، ثم يجفُّ الضوء الوسنان
وإذا أشياءٌ تأخذه، وتدور لأودية الأحزان

فيُرى فى رُعب مذهول

قد أنزل من فوق الجدران اللوحات

... كانت أخراها تَغْلى بالألوان

وتقول بأن العالم لن يَفْنى وهناك الإنسان

... ويميل حزينًا، ثم يدور إلى إحْدى الحُجرات

لم ينظر فيما أبدعه عَقْلُ الإنسان من الكلمات

فيداهُ فى رعبٍ كانت تَجنِى أحْلى الزهرات

كانت تُلقيها فى قلب النيران فتغدو محترقات

... لم يعرف أن الدنيا قد صارت عَفِنَة

إلا حين انفجرت رأسى من بين الأحرف

وتصايح قلبٌ، ثم تهاوى فى لحظات

وتعَطَّل إنسان يسعى نحو الحقّ

وتجمَّد طفل فى لحظات النشوة من قبل الخلْق

... فهناك أحسّ بأن العالم مات ! !

لحظات ... ثم تدقُّ عليه عصا الحجاج

فيموت وراء الباب رتاجٌ... بعد رتاج

وَيِقَىء النُّور، ويأتى ظلٌّ خلف زجاج !

* * *

قد حملق وجه الحجاج القاسى فى كل البيت

حتَّى فى الرَّعشة فى المصباح المهتاج

حتى فى نبض يلهث فى الأوداج !

ويشيع الصمتُ قليلاً، ثم تموت جميع الأمواج

لكن لما مدَّ الحجاج العينَ على الجدران

... وضعت كفًا جندىٍّ صورته من تحت سراج

نقرَ الأزميلُ الحقَّ على أحد الأبراج

غنَّى قلمٌ بالصوت الرجراج

... أما تلك الكلمات الصفراء الحبلى بكلام عن عدله

فلقد وضعت فى كل الأدراج

* * *

هذا الإنسان المسكين المذهول

لن يسأله إنسان بعد اليوم

- والدنيا ماتت من حوله -

فلقد أعطى الحجاج خراجًا... أى خراج !!

الليلة الخامسة

كانوا فى قلب الليل السَّاجى خمْسَةْ

ضحكوا، غنَّوا ، رقصوا من حول الدنيا

حتى أَعْيَوا قَلْبَ الأرض

نَزعوا من أقصى ليلتهم زَقُّوم الُبغض

ثم اجتمعوا – فى حبٍّ – من حول المصباح الغض

* * *

قالوا – وقد اختلطتْ بعضُ الكلمات ببعضٍ فى الليل المنقض –

١ – من يبصرنا يتوهَّم أنَّا فَرْحَى

لكن آهٍ لو يَفْتَحُ كلٌّ منا جُرحا

٢ – إنا عشْنا – والدنيا تأتى ثم تروح –

من غير رءوس كالطير المذبوح !

٣ – إنَّا مَرْضَى

لكن لن نُشْفَى إلا بالحرية

فى هذى الليلات الْثَقفيّة

٤ - من كان يصدق فى هذا الليل الوهَّاج

أن القمر المِسكين سَيُسْحب من عُنقه

وبأنَّ الشمس تحاكم من غربان تحت التاج

فى أرضٍ صار الناس بها قطعان نعاج

٥ - قالوا : لما صعد الحجاج المنبر مرتجلاً

وتَمخَّطَ ثم انصبَّ « أنا ابْنُ جَلا »

اصْفرَّ الناسُ وماتوا من خوفهْ

ثم اندفعوا فى حامل سيفهْ

ولهذا يمشى مزهواً فى خُفّه

أو يركب فى مدنٍ - كالصحراء - الجملا !!

* * *

.. قالوا هذا ثم ازدهَروا فى داخلهم

كبروا ، رقصتْ فى ليلتهم آلاف النجمات

لكن لما دخل الحجاج عليهم

سقطتْ من أيديهم آلاف الماسات

وأزاهيرُ الكلمات

قالوا – وبأعينهم هذا الإطراقُ الباكى فى السنوات

وبكاء الليلات –

فلتسمع ما قلنا فى هذى الليلة

فإذا ما أومأ من أطرافِ الحُلْة

قالوا : وقد اختلطت منهم تلك الأبيات

قال الشعراءُ الخمسة

١ – « إذا نزل الحجّاج أرضًا مريضة

تَتَبَّعَ أقْصى دائها فشفاها »

٢ – أنت الخصيبُ وهذه مِصْرُ

فتدفقا فكلاكما نهرُ »

٣ – فتًى ما سرَيْنا فى ظهور جدودِنا

إلى عصره إلا لُنزْجى القوافيا »

٤ – ماشئتَ لا ماشاءتْ الأقدارُ

فاحكمْ فأنت الواحد القهارُ

٥ – « مستفعلن »

وتعود الدنيا من حول الحجاج

ليلا من غير سراج

فيهشُّ هناك على غنَمِهْ

... ويعود إلى أعتى الأبراج !

السود فى البصرة

ماذا نفعل ؟

نحن السود المقهورين الغَرْقى فى هذا العصر

فلقد أكلتنا ملاحَات البصرة

شَرْبتنا ملاَّحات البصرة

أضحت فى أيدينا الدُّنيا مِزقًا

عشْنا غَرقًا ! متنا شفَقا !

* * *

قلنا : فلنترك ما قد قيل : بأن الناسَ جميعا إخوة

ولنحرسْ عُهْرَ الناسِ بليلات القسوة

لن يحزننا أن الزوجة

قسمت - عَدْلاً - تنهيدتها بين الزوج المسكين وبين العاشق

لن يقتلنا هذا الوردُ المتدلى منا فى السفح

فالآنيةُ الحمراءُ - على الأَعناق - الجرح !

لن يزعجنَا أن الشمس

تشكو في كل صباح أعراَضَ الطَّمْث

في هذا العصر البخْس !

إمَّا ديُّوثٌ ، أو مجنونٌ ، أو قاتل

فلقد أصبحنا من طول القهر النازل

سيقانًا دون سنابل

وَبذوراً في وادٍ قاحل !

* * *

لكن ماذا نفعل ؟

فلقد وافانا مَرْسُوم الحجّاج بهذا الليل[١]

« .. يا أهل البصرة

مُسِّيْتُم بالويل

فليخرجْ عنكم كل السود

فإذا لم يُخرج كلٌّ منكم كَلْبهَ

عَلَقْتكُمُ في هذا السَّهْل

وَعقرْتُ النخل ! »

---

(١) لما قدم الحجاج البصرة قال « وأيم الله لئن لم تخرجوا إلى هؤلاء الكلاب فتكفوني أمرهم ، لأعقرن نخلكم ، ولأنزلن بكم ما أنتم له أهل ».

لما قلنا : وإلى أى الدنيا نخرج ؟

وغدونا نقطر من حدِّ السيف المشدود

أبصرنا – نحن الموتى – فرسانًا فى أزياءٍ سود

تحتلَ سنابكُها صَدْرَ البصرة

تتوغّلُ نطفتها فى بطن البصرة

... وإذا الموتى قد عادوا من أنحاء شتى

أما الأحياء فقد صاروا موتى !

سعيد بن جبير

يا سعيدَ بن جُبَيْر[1]

أَجمع الناسُ عليك

وتواصواْ أن يكونوا موجةً فى شاطيئكْ

أن يكونوا كهلالٍ طَرَفَاهُ فى يديك

فلقد كانوا طيوراً ... وكلامُ الله أَيْك !

... شدَّ ما حنَّت قلوبُ الناس يا شيخى إليكْ

فاملأ القلبَ بنورٍ طيبٍ من راحَتَيكْ !

كنتَ تروى عن رسول الله ما يشفى الغليلا

وتشدُّ الناس حتى يشهدوا الفجر الجميلا

* * *

وبيوم أصبحَ المجلس يَنْدى بالبراءَةْ

كان كالجنَّة من خلف العباءة

---

(١) كان عالما أسود ومن كبار «المرجئة» ذكر عنه أن الحجاج قتله والناس فى أشد الحاجة إليه ، ومن أقوال الحجاج بعد قتله : يا قوم مالى وسعيد بن جبير كلما عزمت على النوم أخذ بحلقى ! ولم يعش بعده إلا خمس عشرة ليلة !

غير أن « ابنَ نَبيهٍ » راح يبكى بين كفية فُجَاءةْ
فلقد أبصر رأس الشيخ محمولاً إزاَءهْ
ورأى ما بين عنق الشَّيخ والكتفَيْن أزهاراً مُضاءةْ
كان مثل الحلم هذا
يا لحلْمٍ بين هذا الوقت جاءَهْ !

* * *

فى مساء اليوم مُدَّتْ راحةٌ سوداء .. مَدَّةْ
فإذا « الشيخُ سعيدٌ » فى يد الحجاج وردَةْ
شَمَّها ، ثم رماها ، فارتمتْ تنزف سجدَةْ !!

من ديوان

الجرح الأخير

١٩٨٦

إفريقية

يا إفريقية

يا أم الشمس ، وسيدةَ الكلمات السحرية

يا من تمشى للرقص بأعماقى فى كل عشيَّة

يا من تغدو من فرحتها عنقوداً مرحًا فى كفيَّةْ

وأدور – أدور – بنشوتها – بالطبل – السهم – الصيد –
النهر – الغاب – السحر – اللون – النَقش – الأقنعة – الكنْغُولية

.. قد جاء أوانُ العشِق ، وهمس الليلات القَمرية

ياإفريقيَّةْ !

***

آه يا إفريقيَّةْ

مرت أزمان لم أتنَّزه فيها كالأنسام الفجريَّةْ

لم أقفز من حول النيران بحُريَّةْ

لم أسقط أثمار «البابای» على أحلام صبيَّةْ

لم أسمع قُرْبَ الصدر الهاجم تلك الأصوات الوثنيَّةْ

لم أصبح إيقاعًا ينتظم الأرض . الجو . الآفاق
لم أزحف من جذْر الأشياء إلى الأوراق !
لم أصبح كالطبل المشدود المتدلّى من بطْن الأُمسيَّةْ
فى دائرة تبدو - رغم الأصوات الخضراء الرعويَّةْ -
فى أعمق أعماق الإنسانيَّةْ !!

***

يا إفريقيَّةْ
ما أروع أن أتهادى بين حروف عذريَّةْ
أن أسطع مثل البرق على أغنيَّةْ
أن أمشى مختالاً فى نَحْتٍ أو بَرديَّةْ
أن أقرأ ديوان الشعر المنقوش على جدرانك فى عفويَّةْ
أو فيما غنَّى «سنغورُ» فى ديوان «الليلات الأسطوريَّةْ»
وقصائد أخرى قد صدحت من رحلته تحت الآفاق الباريسية
.. أن أصبح عصفوراً فجريًّا فى عينيه الكونغو
وعلى الريشات الفرحى ألوان لامعةٌ تَلْغو
وعلى المنقار الشادى صوت الهمزة
والفاء ، وحرف الراء ، وباقى الأحرف
حتى الهاء الفضيَّةْ
يا إفريقية

يا إفَريقيَّةْ

من بعد وداعك قد أخذت تدعونى ريح الموت الشتويَّةْ

لكن أترانى أقهرها بالألوان الوطفاء بعينيك

بالشمس – وقد قسمت عدلاً – فى خدَّيك

بقناعٍ ألبسه كى ما أخفى تلك الأحزان البازلْتيَّةْ

وأدورُ ، وأصرخ .. أو أتهاوى فى قاع الليلات الوحشيَّةْ

فأنا خطواتى قد تاهت فى البريَّةْ

لما أن ضاعت منى الدائرةُ الأبنوسيَّةْ

يا إفريقيَّةْ

***

يا إفريقيَّةْ

ضمِّينى فى شوق بين العينين اللؤلؤتين

ولنحلمْ هذى الليلة بين الأهداب الكونيَّةْ

يا إفريقية

(١٩٧٨)

الأقمار والموت في بيروت

لا تَطْلُبْ منّى فى هذا العصرِ الجَهْم الممقوتْ
أنْ أنسجَ – فى حُبٍّ – أوراق الْوَرْدِ بأوراق الشِّعْر
أو أجعلَ نجمًا يسطعُ فى شطَر
بَيْنا يتأرجَحُ نجمٌ آخر
فى قافية من ياقُوتْ !
... لا تطلبْ منى أقمارًا إنَّ الأقمار الآن تُحاصَرُ ، ثم تموت
إنَ الآلافَ من الأبطال تودِّع فى بيروت
تمشى خطوات ، ثم تقولُ بحزْنٍ : آهٍ يا بيروت
أترانا نرجعُ سُيَّاحًا مثْلَ الْغُرباء ، ومن فوق الكتفِ «الكامرا»
والدَّهشة يا بيروت ؟
أتكون جَريدتنا فى مائدةِ الإفطار الْعربى
«يَدْعُوتَ أحرُونوتْ؟»

***

من خان البسمةَ فى وجهِ الأطفال المحتجزين ؟
من خَان رغيف الخبز ، وديوان الشِّعْر المسكين ؟

من خان جواد صلاح الدين ؟

من خان قصائد درويشٍ ، ومعين ؟

من أرشد عن قلبٍ كانت «يافا» من قَبل الطلقة فى حُلمه ؟

.. قولى يا بيروت

من زجَّ بيونس فى أعماق الحوت ؟

من قال : يقسَّمُ هذا السَّبْىُ على أربع

والبعض الآخر يُستبْقى كودائِع فى بنك الحسرة

كى ما يعطى أرباح الدمِّ وأقْصى عائد

فى سلة عُملاتٍ حرَّةْ !

.. ماذا سيكون عليه الحال إذا رحلوا قَسراً يا بيروت ؟

ماذا سيكون عليه الحال إذا نجح التفتيت ؟

قولى يا بيروت !

من قال بأن النجمةَ ذات الأضلاع الستة

– آه من تلك النجمة –

لن تلمع من فوق الخيمة فى الصحراء

لن تبرق فوق الأسرار الزوجيةِ فى المدن العصماء

ما دمنا قطَّعنا اللحم العربى على السندان ، وساومنا الجزار

ولم نأبه للدمع المسفوك

ما دمنا قد مكّنا من لحمٍ حىٍّ «شيلوك !»

ووضعنا ماضينا والآتى فى تابوت العهد ..

آه من هذا التابوت !

ما دمنا نأكل ، ثم نثرثر ، ثم نقول : الصبر . الصبر

ما دمنا نهدر مثل الناقة ، أو نَسْتَخْذى كالكتكوت !

***

يا قهرى ماذا نفعل ؟

أتراني أصرخ بالألغاز !

فلأصرخ بالألغاز

.. قلْ يا جد الشعراء المهزومين . المغتربين

أنقول كما قد قلت بكندة :

اليوم تدار الخمر ، وفى غدنا الأمر الجائر ؟

أنميلُ بشق - فى يوم السبت العاهر -

والشقَّ الآخر نعطيه للطفل المخدوع العربى - كما أوصيت -

يبدو أن الأيام السبعة سوف تكون سُبُوت

ما عاد رجال الجمعة فى النَّاسوت ، أو اللاهوت !

.. قل لى يا صاحب عمورية

يا من قد قال بصدْقِ السيف وزيف الكتب

فاللطمة ما عادت تدوى فيمن قالت : وامعتصماه

لكن اللطمة فى وجه الأمةْ

« يا ولداه ! »

والأمة يا شيخى يأس وقنوت

لغط ، وسكوت !

.. ماذا نفعل ؟

يا صاحب سيف الدولة

يا من قد خانك سيفُ الدولة

فالشاعر ليس يخون

من يعرفه السيف

من يعرفه الليل

من تعرفه البيداء

من يعرفه القرطاس

أضحى مطروحًا فى الصحراء يموت !

وعليه من « شارون » الخوذة ، والشعر الفضِّى المرخى

وغراب فوق السوأة يهبطُ ، ينعقُ . يعلو . ثم يفوت

من فوق بيوتٍ بعد بيوت !

***

الليلة نبكى يا بيروت

الليلة نبكى يا خضراء العينين

فالأبطال الأقمار تغادر – فى حزن – بيروت

من بين صفوف الدبابات ، ومن بين الضحك المكبوت

ممن يتكلّم بالعربية والعبرية، فاللغتان الآن على شفتى بيروت

.. من أصدر حكمًا فيهم من غير « ثبوت ؟ »

من كان الشاهد، والقاضى ، والآية ، والميزان المنحوت

إلا عرب كانوا حينًا مع طالوت

كانو حينًا مع جالوت !!

***

من غير كفيل رحلوا يا بيروت

فى موسم حَرْقِ الناس ، وحرق الفكر ، وحرق القوت

لكن الورد القانى فوق الجثّة سوف يعود

من محرقة العصر يعود

من كل شقوقك سوف يعود الشعبُ المقتول

فبكل مكانٍ سوف تعود الثورة

من بطن الأم ، ومن تجويفٍ فى قلب البذرة

من فجر آت موقوت

يا بيروت .

يا بيروت !!

الهلال والمصرف ..

في أرضي . . أذكرُ أحيانًا للصبية
حتى لا يخطفهم شرطيٌّ ، أو سفاحٌ ، أو غول
ولنفسي أحيانًا فأنا قد أهرب من نفسي . . فأقول
« . . إن ضعتم يا أحبابي في هذا الليل الموصول
فهنالك ألف هلال يرشدكم بمدينتكم
ويناغِمُكم في مئذنة بعد الأخرى
ويضيء لكم كل المجهول
سيكون – وإن لم تنكسِروا في ذلة من يَرْجو–
السائل والمسئول !

***

لكنى لما هاجرت . .
لما طوفت كثيراً ، ثم هدأت بقرب المجهول
في عرض الأرض وعند الطول
ألقاني أعجز عند العودة «للنُّزل» المأهول
لا أعرف أين أقمت ؟

فالغربة عمر مقتول

أرض من غير فصول

دنيا من غير وصول !

ساءلت المارة بعد المارة

– معذرة من ضاع سئول !–

نظروا بالوجه القاسى والمقفول ...

قد قلت – وفى قلبى تجرى للهمِّ خيول –

«ماذا فى بلدتكم للقلب المرهف

إن عزَّ قُفُول ؟»

قالوا «عجبا .. علِّمها بالمصْرَف بعد المصرْف

وبإنسانٍ إن لم يخطفه الموتُ فقد أشرف

وحذاءٍ من شرطىِّ ينقر أو يزحف»

ومضوا باستخفاف وفضول

وعلى كل الكلمات – وفى العينين – ذبول !

***

فقلت « خلوا سبيلى لا أبا لكمو »[1]

قالوا « ستقتل»

قلت «القتل مأمول !»

---

(١) المقتبس من قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير .

موقف ..

ماذا أفعل ؟

رأسى تتكوّر منها الشمس وتمشى فى عُرس الألوان

قلبى ممتدٌ .. ممتدٌ .. لا يخطئه أبداً «عنوان»

كلماتى عزفٌ منفرد للريح ولوحاتى برقٌ غضبان

وبعمرى قصرٌ من نورٍ فى شبّاك منه «بنت السلطان»

وتموت بداخله كل الأحزان

.. وعلى أطراف حُروفى أشعار - أزهار - أكوان

صوت يشدو للناس بكل حنان

«ألا تطغوا فى الميزان[١] »

***

ماذا لو أمشى فى السوق الملآن ؟

وأقول «جناساً» مبتسماً من بعد «طباقٍ» غضبان

---

(١) الآية رقم ٨ من سورة الرحمن .

وأبدِّل لونى كالحرباء بكلٍّ مكان
وأرانى أحمل أكثر من وجه فى كل أوان
- هذا وجه فى حجم الدولار
هذا وجه فى حجم الروبل
هذا وجه «بالسِّعر التشجيعى»

***

ماذا لو نادمتُ الإنسان الظالم فى كل الأزمان ؟
ماذا لو مالئتُ «الحجاج» بما يجرى مذعوراً فى الشريان ؟
ورقصتُ لكى يتضاحك منه البطْنُ الملآن
وضربنا جمجمة بالأخرى فى الليل السكران
وسخرنا من صوت الإنسان المْحروم الظمآن
مُزْدان برسوم الطغيان

***

لويبسم عصفور فى حضن النَّسر الجوعان
لو يرقصُ فى كوب ظمآن
لو يستعصى عن إعطاء العطر الأزرقُ بستان
.. لقبلتُ !! وخنت النور - النبض - التكوينات الصادحة الأولى

البرق الساطعَ «بالأولمب»، ومن قد قال لأهليه « إنى آنست النار الكبرى»

الوجهَ المائل مثل الوردة – والضوءَ الباقى أبدًا فى أعماقى – النور الصاهل فى ليل العشاق – وتَشْبيك الكفين إذا هدأت كل الطرقات – ونقْرَ الغصن بمنقار الخصب الذهبى – الموجة فى أحضان النيل وقلب الإنسان وفى أعماق البستان الصيفى – وتدويرا فى كمثرى القلب الفرحان وفى الموسيقى – والتصريعَ بأشعار العرب الأولى، وجميع دواوين الشعراء وما فيها من رحلات لفراش الدمع – ومن قد صاح وقد ضمته الجنَّة .. آه يا وطنى !!»

***

قدرى فى كل الأيام الغَضْبى أن أعبر بحر النسيان
أن تلفحنى – فى شوق – كلُّ النيران
أن أرتجز الأبيات الغضبى .. كى لا أبكى أبدًا فى يوم طعان»
أو أسعى مثل الناس لكى أعطى «منديل أمان»
أن أصرخ – والخوف المجنون يعربد فى عمر الإنسان –
«ألا تطغوا فى الميزان !!»

الدمعة الرمادية

رأيتك قادمًا بالأمس فى حُلمى .. وكنتُ غفوت

فماجت حولى الدنيا - على حذرٍ - ومات الموت

وصاح القلبُ فى فرحٍ : تراك عفوت ؟

فمن زمن تفرقنا

وفى التيه العظيم خطوت !

.. ولكنى أراك اليوم بالخيلاء والشارة

وبين النور .. بين الظل .. طلعتك الضبابية

وألقانى إليك عدوت

وأبصرنى إليك سموت

بأفراح طفولية

وأجنحة حريرية !

قُبَيْل اليوم قلتُ : أودِّع الدنيا فمن سيجىء ؟

ومن سَيَرُدُّ أغطيتى بليلتنا الشتائية ؟

ومن سيشد أهدابى على العينين؟

ومن سيقرِّب الفكين ؟ من سيقرِّب الفكين؟

- ترى هل تسمع الدنيا صريراً يغلب الكفين؟ -

ومن سيقول: خيرناه

«فيسقى ربَّه خمراً»

وإمَّا تأكل الأطيارُ من رأسه؟

.. ومن سيقول: كان حكاية خضراء مروية

وكان جناحَ أغنية

وأيامًا سديمية!

***

ومرَّ الوقت .. مر الوقت .. لم يحضر هنا إنسان

.. ولكنى رأيت حديقة تسعى بأثواب خريفية

وأطرافًا - مكان أصابع قُطعت - صناعيةْ

وسبع سنابل ماتت، وسبع سنابل حية!

.. رأيت النهر من حولى، وبعض مساء

ومركبة مولِّية

وخوذات بدائية

ووجهًا نصفه فى الظلِّ، والثانى مع الأنوار

فقلت - وفرحتى تتحسَّس الحركة -

أخيراً تقبل الملكة

أخيراً تصدح البركة

وألحان سماوية

***

جميل أنت في عيني ، فخذ كفي لآفاقكْ

لهذا السحر ، هذا الخوف ، هذى الفرحةُ العذبة

.. ودقت في الزَّمان الرَّخو أقدامٌ حديدية

فقلت – وفي فمي ناحت بكائية –

لماذا هكذا تبدو كأحجية ؟

لماذا نصفك المحجوب في الستر المسائية

فهات النور ، هات الشدو من أفراح قمرية

تعال إلى حدود الصحو ، والشمس الربيعية

هنيهات – وماج الكون حول المحور الدوَّار–

.. ولكن نصف هذا الوجه مقبرةٌ بغير قرار

جحيم موحش الأسرار

.. ترى من أنت يا من جاء في حلمي ؟

وأيقظ دمعةَ الحزن الرمادية !

(١٩٨١)

الصعيدى يسافر ..

شاهدته .. مستغرقًا ومفكراً

آنًا يطلٌ ، ومرةً مُسْتعبرا

ضحكت عليه من النساء جميلة

وتمايلت فغدا المطارُ مثرثرا

كانت مواطنة تعذِّب نفسها

فعلى الجبين ترى الجنوبَ الأسمرا !

***

.. لكنَّنى من مقعدى أبصرته

يستحضرُ القسمات من إحدى القُرى

شاهدته ، والأم تمسح دمعه

وتقول : لا تحزن ، فلست مخيَّرا

ورأيت زوجته تقدِّم طفلها

ليرى أوائل ورده مُخْضوضرا

كانت تودّ عناقه ، لكنها

خجلت ، فغطت خاطرين اسْتَعْبرا

ومضت فرجل في الطريق تقودها

بينا يسيرُ القلب سير القهقرى

يا من يرى حزن الغريب بأرضه

متشابكًا في حزن من غدٍ السُّرى !

***

وهنا تطل حكاية مصريةٌ

عن قصّة الكدح الذى لن يفترا

وعن الثمار ، وقد رعاها بذرةً

حتى استدار الخِصب ، ثم تكوَّرا

وعن الوجوه ، وقد غدت معروقةً

وعن الشحوب امتدَّ . ثم تأخراً

لكن خوفًا قابعًا في نفسه

يمتصُّ نضرته ، ويمضي مدبراً

.. وهنا تموت بشاشةٌ مُبوقوتةٌ

فغدا يضيعُ بهجرة لن تثمراً

ولقد تجود بفرحة قد رفرفت

لكن غربته تشوه ما يرى

مـــاذا لـو ان الطفل ؟ أو من يشـــتـــاقـــهـم!
آه وتكمل دمـــعـــةٌ وهـمــــًا ســـرى !!

***

صـــرخ : ارجـــعــــونى نحـــو أرضٍ فى دمى
مــــالى ولـلـطيــــرانِ فى أعلى الذُّرى
فــتـــضـــاحك الجـــمعُ الذى من حـــوله
لـكنَّ هـذا الضـــحك صــــار مــــؤثِّرا
فـلقــــد أحــــسُّــــوا أنـهم هـذا الذى
ضـــحكوا عليـــه ، وأوســعـــوُه تحـــيـــراَ
.. ومــضـــوا . ولكن كـــان فى أعــمــاقـــهـم
وطنٌ ينوحُ !! وحـــفـنتـــان من الثـــرى !!

(١٩٨٥)

ذكرى فى المدينة المنورة

إنى ذكرتك فى «المدينة» عندما
طوّفتُ فى أُفُق البهاء الأزرقِ

فيه ترى الغيمات يشدو لونها
فى عالم التجريد ، والضّوء النقى

ويمدُّ خيطًا داخل النفس التى
هدأت .. وكانت فى جحيمٍ مطبقِ

وتظل تنمو رقعة أبديَّة
ما بين مِئذَنَّة ، ونجمٍ مُونقَ!

.. هى لحظة مثل القرون عبرتُها
فرأيتنى فى رحلةٍ للمطلقِ

لا أبصر الدنيا بعين محاذر
قلق غضوب ، أو بوجهٍ مطرقِ

أو ألَمحُ الأيام غِربانا لها
فى كل ناحية نعيقُ تفرُّقِ

كل الذى ألقاه نورٌ ساطعٌ
يندٰاح فى نفسى بفجرٍ مورقِ !!
وبداية مزهوة لقصيدة
قالت «أزقزق ؟» قلت «هيَّا زقزقى !»

***

أجهدت نفسى كى أعود لجنَّتى
فدفعت بابى ، وارتميت بزورقى
فوجدت «قاهرتى» تضىء وعالمًا
تمشى البراءة فى ذُراه وترتقى
ووجدت موج النيل يسجد خاشعًا
ويقوم للرحمن قَوْمَةَ مُتَّقى
ووجدتُ سبع سنابلٍ ثرثارةً
لمَّا تزل فى حبةٍ لم تنطقِ
ووجدت طفلاً راح يلثغُ ضاحكًا
ويطلُّ من ريش الجمال المشرقِ
ووجدت وجهك يا حبيبى صادحًا
فى أيكةٍ معروشةٍ بالزنبقِ
ووَجَدتُها كالمانيكان بِزِيّها
وبخطوها الفرحان والمتموْسِقِ

قـــــد قلتُ «إنَّا عن قـــــريب ٍنـلتـــــقى»

فــــســـمـعت صــوتك «عن قــريب ٍنلتــقى !»

***

ومــضـت هنيــهــات .. وســـارت لهـــفـتى

فـى رحـلـة مــــــشـــــدودة لـلأعــــــمق

وســـــجـــا مــســـاء ، خلتـــــه من جنة

قـنديـل حبٍّ مُـــــدَّ فــــوق المشـــــرِق !!

يا ربُّ طال الشْــوقُ صـــاَر حـــمـــامــــةً

قلبى فـــهــــدَّئ لهْـــفــتى ، وتشـــوُّقى

ولْتَــــــتْــــــركنّى وردةً مـــــاســــيــــةً

فـى روضــــةٍ بـالمســــجـــد المتــــألِّق

هِـمْـنــا بـه ، حــــــــتــى رأيْـنـا أنــنـا

صِـــــرْنـا مــــلائـكـةً .. تَـحـطُّ ، وتَرْتَـقى

وتـدورُ حــــــولَ الـنُّور فى وَجْــــدٍ ، وفـى

تكبــيـــرة الإصــبـــاح فــيــمــا قــد بقى !

(المدينة ١٩٧٧)

العصر والحب ..

أبصرتهم فى الشارع الخلفى تحت هدْأة الشجر

على المقاعد التى من الدخان والحجر

وتحت خيمةٍ من البكاء والمطر

وسكتة الخطر

للحظة .. للحظتين

لساعة .. لساعتين

.. لا يبسمون للحدائق المنورة

لا ينظرون للنوافذ المؤجَّرة

لا يلحقون بالحديث آخره

.. لا يعرفون أنه أتى الربيع بالزهر

وأن قُرْبَ هدبهم حديقة القمر

وأن فى الزمان ما يُريح مقلتين

وأن فى المكان ما يضيف جَنْبَ عاشقين مُجْهدين

واللحظة التى يقال لن تجىء مرتين

... فكان ما يرونه صور

وكل ما فى الجيب والحقيبة .. الصور!

* * *

فإن أتتْ هنيهة الوداع

والكون صار مركبا يغوص بالشراع

لم يبك حرفٌ فى الحدث .. لم يئِنْ

لم تنكسرْ فى الوجه دمعتان

لم تشتبك يدان

لم يعتبوا على القدر

لم ينظروا على حذر

.. ففجأة صاروا – كما عاشوا – جُزُرْ

•

ستختفى عما قليل .. لا مفر

لا مفر !

* * *

حتى إذا ما عاد من ينظِّف المدينة الحزينة

بعد رحلة الخطر

– من هؤلاء القادمين من رجال العالم الثالث –

فى حافة السكون والسحر

شكا، وشدّ ساعديه، ثم ساق للحفر

أكوام زهر من «البلاستْك» السميك

مليون قلب معدنى

وألف قبلة من الرخام

وذلك اللغو الذى يكون فى الكلام

وشهوة فى علبة من أضعف «الكرتون»

والعطر أبغض ما يكون

والخوف والخدر

.. وقال - في ضجر -

تحولوا إلى حجر .

تحولوا إلى حجر .

تفتيش المواطن "ع . ب"

لما قالوا : إن الغُربة

صارت قدرا مكتوبا فى هذا العصر

أعددتُ متاعى

هيأتُ ضياعى

والحزن القادم فى أيام الأسر

ووقفتُ حزينا مرتجفا أتلو من قول الله

«والعصر

إن الإنسان لفى خُسْر !»

* * *

فأنا من بعد قليل سوف أُرَى

عطشان .. لأنى جاوزتُ النهر

وأنا من بعد قليلٍ تلفحنى

نارٌ .. فأنا أنكرتُ حقول الزهر

وأنا لن ترجع أشلائى أبدا
أمُّ الأحزان ، وسيدةُ الدهر
.. فأنا من بعد قليل سوف أتوه
فَيدى شدّت من كف حبيبى المشتبكة
لما أن ودّعت الملكة
من فوق رُخام القصر !

* * *

فى بطء مدُّوا مخلبهم للتفتيش القاسى
بحثا فى رأسى عن فِكر
بحثا فى قلبى عن شعر
بحثا فى أقلامى عن حبر
وأنا أتقلبُ من فوق الجمر
.. ويظلّ على رأسى وبأعماقى شىءْ يتدحرجُ مثل الصخر !
ما أكثر ما نبشوا حرف العين ؟
ما أكثر ما جسُّوا حرْف الباء ؟
ما أكثر ما دارت أيديهم بحثا ، عن شىء فى جنبى أو خلف الظهر ؟
ما أكثر ما صادفتُ صنوفَ الغدر ؟
.. آخ لن يمسح إنسان دمعى

وأنا أتهاوى فى خوفى

وأحس القهر !

* * *

ما كدتُ أسير قليلا حتى داهمنى من يحمل «شارة نسر»

وجهاز يصرخ من خلفى : فليضبطْ حرف العين

فليوقف حرف الباء

أتُرى حرف قد مر ؟

* * *

خطوات .. ثم يضيع العمر

ويطلّ زمان مثل القرد كثيف الشعر

وإذا شرطىّ يتبعنى كالسَّائر فى ساحات النصر

ويقول : الصبر

يا هذا : الصبر !

لم تكتب هذى اللؤلؤة المصرية

فى تلك الأوراق الرسمية

.. فى هذا السطر !

وأشار بجفن مملوء بالمكْر

فتفنَّن شرطى فى شدِّ ضلوعى، ثم الكسر

قد ظل ينقب عن شيء فى أعلى الصدر

ويشد «اللؤلؤة الخضرا» من بعد الحفر

ويقول بعنف : إنى سارق

لكنى كنت أصيح : بأنى مسروق

فاللؤلؤة الخضراء بصدرى كانت مصر

آه مصر !!

.. آه مصر !!

١٩٧٧

من ديوان

هجرة شاعر

١٩٨٨

الشرطة

قال سفيان الثورى «إذا رأيتم شرطيًا نائمًا عن صلاة فلا توقظوه لها، فإنه يقوم يؤذى الناس»

كُلَّما أبصرتُ شرطيًا تَغشَّانى سُهادى

وارتمى همٌّ بنفْسى ، ومشتْ روحُ الحداد

ووضعتُ الكفَّ من غير شعور - فوق كَسرْ

كان جرحًا فوق رأسي - لم يزل للجرح حَفرْ -

كان شيئًا قيل عنه عند كلّ الناس قهرْ !

.. لستُ أنسى حينما كُنا صغاراً مثل زهْر

وننادى باسم مِصرْ

ونغنّى باسم مِصرْ

فلمن يا أيها الشرطى قد كنتُ أنادى :

«يا بلادى . يا بلادى

لك حبى وفؤادى

وعلى كل العباد

كم لنيلِكْ من أيادى !»

فلماذا كان عند الْبَدْءِ .. ثأر؟
ولماذا يبدأ الخَطْو بصخر ؟

***

والليالى المزهْراتُ اللَّيْلكيَّة
حينما قد أشرقَتْ فى مقلتية
وغدا الكون جميلاً كهديَّة
قلت : أمشى فى بساتين البريَّة
أَحْضنُ الدُّنيا جميعًا ، وأغنِّى للبشرْ
للهوى ، والشعر لاثنين على يَخْت السَّمرْ
ولأطفالٍ صغار غرَّدوا فوق الشجرْ
.. بينما كنتُ سعيداً مثل حبَّات المطرْ
وشعاعٍ شقَّ غيمًا ، وتعالى ، وانْتصرْ
قال لى الشرطىُّ - فى وجهٍ كئيبٍ مكفهرْ -
«لاسفرْ!»
مُنْذُ هذا اليوم قد جفَّ الزَّهَرْ
ناح فى العود الوترْ
أنكر الغصنُ الثمرْ
هجر الزَّوجُ فراشهْ
داخل العمر الكدرْ

واسْـتـحـال الناس نَقْـشًـا فـوق آلاف الجُـدرْ
وغـدوا جَـمـراً شـقـيـًا كل حين يستعـر..»

***

.. رحتُ أرجـو .. مـدّ رجليـه بوجْـهي ثم أغـفى ، وزَفـر
عـدتُ أرجـوُ فى انكـسـار .. فـتـمطّى وزأر!
منـذ هـذا اليـوم صـاحـبتُ الخـطر
وارتمى شـيءٌ بنـفـسـى ، وتَـداعَـى ، وانْـكـسـر
وعـرفـتُ النَّـفـىَ فـى أقْـصـى الجُـزر
فلقـد سـدُّوا بـوجْـهـى كـلَّ بـاب بِـحـجـر
ثـم قـالـوا فـى تحـدّ
«لا مـفـر !»

***

بـعـد أعـوامٍ طُـوال
حـين وافـانـى - مـع العـمـر - الـظّـفـر
وتملَّـكْـتُ جَـوازًا من جـوازات الـسـفـر
وحـروفًـا تـتـلـظَّـى فـى سُـطورٍ بـالـشـرر
قـد مـضَى العـمـرُ سـعـيـداً وشـقـيًّـا
ورقـيـقـا وعـتـيًّـا

بين آلاف الصُّوَرْ

.. غير أن الأمَّ ذاتَ الطُّرحة السوداء قالت وهى

تبكى

«عُدْ لنهر النيل، فالنَّهر انتحرْ

عدْ لِسرٍّ الخْصب من عصرْ غبَرْ

عد لليلٍ مستباح سرقوا منه القمرْ

آه يا نور القمر !!

عدْ لثأر أبَوىٍّ لم ينمْ عنه القْدَرْ

يا وليدى .. حينما قد خدعوه

أحكموا الصُّندوق حوله

ثم فى حِقْدٍ على الماء رمُوه

فبكى الْوادى طويلاً

وارتمى النورُ عليلا

قلتُ .. يا أماه لا تبكى فإنى سوف أرجعْ ،

– وعلى الأهْداب كانتْ تتوالى بعضُ أدمعْ ،

غير أنّى حينما قدْ ضمَّنى صَوتُ المطار المتَصدِّعْ

وصدى أحذية الجنْد التى كانتْ تُقعْقعْ

كِدْتُ أُقْلِعْ !

كان يومُ العود – يا أمَّاه – مُفزِعْ

لم أعدْ أعرفُ ذاتى

وهــــى تُــــرمَـــــى ، وهَـــى تُـــتقْـــطـــع !
أخـــــــــــــــذُوا مـــنِّـــى ذراعـــى
حـــــــســــــبــــــوهُ بَعْضَ أسـطُـر
نـــزعـــــــــــوا قَــلــبــى المــدمَّــى
ســـرقـــــوا شــــوقى المُبـــعْـــثَـــر
طوحــــــوا عــــقْلى بعــــيــــداً
ثــمّ قـــالوا : يَتَـــجـــمْـــهَـــر
قـطـعــــوا غَــــدْرًا لـســــانــى
لـيـكـون الـصـــــمـتُ بـالمظـلـوم أجْـــدر
.. ثـم قـــالـوا - بابتـــســـامٍ يتـــوعَّـــدْ
ووعــــــود تـتـــــهـــــدَّدْ -
«إنَّ هـذا الـعــــود أحَــــمْـــــد !!»

***

إنــنـى الآن سَـــقـــيمٌ ، ومُـــبَـــدَّدْ
كـلّـمـا ســرتُ أُلاقى ذلك الشـــرطىَّ يُرْغى ، ثم يُزبِدْ
ولقـد يبـدو بجـنـمـعـيـاتـنـا الكسْلى «مـجـمَّـدْ»
ولـقـــد ألقـــاهُ فى الـنوم المســـهَّـــدُ
وبـــأيَّـــامـــى الحـــــــــــزيـــنـــةْ
لابسًـــا وجْـــهَ الضَّـــغـــيـــنةْ

أو قنـاعـًـــــا من خُــــــشــــــونـةْ !

.. صـــــــــار كـلُّ الـنـاس شُـــــــــرْطـةْ

فـى لـيـــــــالينا الـهــــــجــــــيـنـةْ

.. وعــــلـــــى كـــــلِّ طـــــريـــــق

كـــــانـتْ الـدُّنـيـــــا ســـــجــــيـنـةْ

كـلُّ بـيـت كـــــان مــــخــــفـــــرْ

كـلُّ وجـــــــهٍ كـــــان خـنـجـــــــر

كـلُّ قـلـبٍ كـــــان فــــخًّـــــا فـى المـديـنـةْ

.. وعلى الْبُـــعْـــد تراءى شكْـل «مَــهْــجَــرْ !»

***

فـــــإلـى أىِّ طـريـقٍ ســــوف أمـــــضـى يـا بـلادى

«يــــــا بـــــلادى - يـــــا بـــــلادى

لـــك حــــــــــــبـى وفــــــــــــؤادى

وعـلـــى كـلِّ الـعـــــــــــبــــــــــاد

كـــــم لــــنــــيــــلـــكْ مـــن أيــــادى !»

(١٩٨٧)

هجرة شاعر

– ١ –

قد قالُوا – فى هَمْس – قَبْلَ الرِّحلَةْ
لما وجَّهْتُ الوجْهة نحو الْقِبلةْ
ودخلْتُ – وقَلْبى مُرْتجفُ – فى قَلْبِ الصَّف
مكسور الأنف
« .. إن الإنسان الضَّيْف
لنْ يدركه فى غُربته إلاَّ الحيْف
وجنونُ الصيف
وبُكاءُ الحَرْف
وسؤالٌ مَقْرورٌ خانق
عن «أين ؟» و«كيف ؟»
فإذا ما استْروح من تَعَبٍ كان السَّيْف
والسهم الآتى غَدْرًا من خلف !
ولقد قالوا – فيما قالوا– .. إنّى بِعْتُ النَّهْر الرَّقَّاف

والخَضْرةَ تُومِضُ في الصَفْصاف
والنَخْلَ يُوَشّى كلَّ الأطراف
.. حتى زهر اللوتس
لم أتركْه من بين شغاف
حتّى مَنْ كانتْ كعبةُ عمره
قد غادرها من غير طواف
.. حتى الزَّمن الحلو الشفاف
ما دارَ عليْه ، وناحَ ، وخاف !»

– ٢ –

ولقد ذكروا – فيما ذكروا – بعض الغرْباء
– ما أكثر مَنْ ذكروا منهم ؟ –
قالوا : إن الشعراء الآباء
كلٌّ قد عانى في الْغُربةْ
وشكا في اللَّيل الممتدِّ الْعَاتي كَربَهْ
وتحوَّل في الأيام لنَبْع بكاء .. !
١ – هذا من عاش طويلاً في بَطْن الزَّقِّ الرَّجْراج
قد فارق «كنْدَة» كي ما يَسْتَبْقي التَّاجَ الوهَّاج
لكن الرِّيح تُنازعهُ هذا التَّاج
وبعيداً يُسْمَعُ صوتٌ للقلْبِ المكسور المهتاج

ويموت بقبرٍ منسى من غير رتاج !

٢ - والذبيانى فى غربته يتقلَّب فوق "هراس" الهم

فالليلُ سيدركه مهما طال اليوم

.. لولا ماترسله «المتجرِّدة» النشْوى فى الحُلْم

وطريقتُها فى جَذْب نصيفٍ لم تُسْقطه عن عَمْد

بَيْنا عيناها فى عَيْنَيه ، وشىءٌ ما قد تم !

٣ - وبكفَّىْ عنترةٍ قَعبٌ فيه لبن بائس

كى ما يَسْقى كلَّ النِّسوة إلاَّ عَبْلة

فلقد خرجتْ كى ما تَبْكى فى أعلى التلَّة

لمَّا يئستْ من وعَدِ مَخْلوف أبْلهْ

والْعُمْرُ تَولَّى وهى على خَوْف العانس !

٤ - وزُهَيْرٌ قد أضْحى وتداً من أوْتاد الخيمة

لكنَّ الحْرب وإنْ سكَتتْ ما زالت تَهْدُر فى الأُمَّة

ويعلم «كعْبًا» كيف يقول الكلمة بعد الكلمة

ما أكثر ما قد قال : أجزْ ، فانْهلَّتْ أفراحُ الْغَيمةْ !

٥ - والأعشى لا يَخْطو إلاَّ مسنودًا بين القدِّ ، وبين الكأس المذهب

ويُساوم بالإبل الحمراء قُرَيْشًا حتَّى لا يذهب

ليقول قصيدته الكبرى فى «يثرب»

لكن ستباغته الناقة فى صحراء الموتِ المُجْدب !

٦ – أمَّا طرفة

فالسَّيْفُ بغُرْبته قطفَهْ

فمشى خطواتٍ ، بَعْضًا يَبْعد عن بعض

ثم انهار الطولُ ، ومال الْعَرض

ومشت غربانٌ سودٌ مُؤْتلِفَةْ

والصَّمْت العاتي قَدْ جرفهَ !

٧ – ولبيدٌ قد سئمَ الدُّنيا ، واشتاقَ الْقَبرْ

.. لماَّ طال العمر

اسْتعصَمَ بالصَّمت ، وأَغْفَى فوق الْقفْر

واستَنْجدَ – في حزنٍ – بالإبنه

كي ما تَنْهلَّ عليه بَبعْض الْقَطر

فلقد مات الشعر !

– ٣ –

لكن الشاعر لا يُصْغى للأصْوات الثَّكْلى من أَجْداده

ويراها وَهْما

أو تخلْيطَ الحُمَّى

لكن يُصْغى لنقاءٍ يبدو حُلْما

.. وبقلْب مُمْتَلئٍ عَزْما

يخطو – يَمشى مهمومًا جَهْما

فى راحته وَرَقٌ ، ما أكثر ما يُرْمَى
فى جبهته نورٌ أَوْشك أنْ يدْمى
وبقايا من أملٍ مَرْسُومٍ رسما
وجواز مرور قد أَخَذَتْه الرَّعْشة وهو يُقَدِّمهُ للشرطىِّ العابس
من خلف جهاز التَّفْتيش البائس
.. وَيدور بخاطره أن الوادى يبكى حوله
وستَتْبَعهُ أنَّى سَار النَّخلة
والأشجار الخضراء تفىءُ إليه
والأزهار الحمراء تشدُّ يديْه
وبأنَّ الطَّيْرَ حَواليْه شدَّ الرَّقبة
وممثَلَ نَهْر النّيل توقَّف عند العتبة
هلْ كان كبيراً للأُمناء
قد جاء يودّع أيّامى قَبْل الرّحلة؟
بالياقة وهى مُنشَّاة ، وبأَوْسمةٍ فوق الحُلَّة
.. لكنى لم أبصر إلا وهما
والدُّنيا قد مُلئَتْ غيما
والقادم سَارَ ، وما أوما !!»

— ٤ —

أمَا الإِنسانُ الآلى الجالس
من خَلْف الطّاولة الملأى بملفَّاتٍ، ووساوس

فتجهَّم . لم ينظُر في عَيْنيه
لم يأبَهْ للورق الممتدِّ إليه
لم يعجبْه شيءٌ في تَدوير الحرف
فتعمَّد - وهو يدقُّ عليه -
أن يَقْلِب في شفتيه
ويموء كمنْ يرجو نوما
.. فيغادره - قلقا - لكن يَبْقى شيءٌ ما
وبعيداً عن أن يوقظه في داخله صوتٌ هاجس
عن أن نُسَيْمات الحرية
ستهبُّ على وَجْه الدُّنيا ، وتلامس
يتجاوزُ باب الغرفة مُنْفَعِلاً ، في خطو قارس
.. لكن سَيُرى مُرْتطمًا في جسم الحارس
فإذا ما جاوز معتذراً للوجهْ المعروق اليابس
واسْتَجْمعَ في عَيْنَيْه أحلام الفارس
سنراه يقول :
يبدو أنْ الدنيا صارتْ غير الدُّنيا
والشاعر في هذى الأيام مُعَافى
ما دام سيبعد عن وطنه
ما دام سيخْرج من زمنه
وأدار الظَّهْر ، فلم يطرفْ جَفْنًا ، أو خافا

أو هزَّ الكفَّ لمنْ حَضَروا ، ورأوه يُزْمِعُ إيلافا
أو خاف بأن يتهامس عنه الناس :
ها قَدْ بدأ الإجْحَافا !
.. لما شاهدت أوائل رحلته فى وادى الخوف
قد داهمنى شىءٌ كالصَّمْت
والرعشة قد ملأتْ قلبى
وبكيت .... بكيت !

– ٥ –

فى قُرَب القمْة
ولكلِّ الأشياء دوىٌّ بعد دوى
كوَّرتُ فؤادى ، ثم تدليتُ لأعماقى فى ذعرٍ صحراوى
لكنى أطفو فى خوفٍ من فوق الحزن المصرى
بل من فوق الجدرى
فلقد قالوا – فيما قالوا
كلمات مختلطات كالنَّقْش الأثرى !
يا هذا المطرق فى أَقْصى ذاته
اسبحْ فى هذا النُّور الفرحان الوردى
يا هذا الشاعر
أسقطْ من ذاكرتك

ما ظلَّ بها من إشراقٍ وطنى

.. اذكُرْ .. لابُد لهذى الرحلة من حادٍ بدوى

نادمنا بالكاسات الصدَّاحة

وبما قد قيل لليْلى فى أطْراف الواحة

ما أحْوَجنا للشِّعر الذهبى

لم تبق سوى ساعات فى هذا الزمن الْمسروق السرى

ونعود ببطء للوجْه الْقَبَلىٍّ

وإلى الإيقاع الغاضب من عَبْسٍ ولؤىَ

وإلى الشِّعر الطَّافى من غير روىّ

وأيائل قد ضاعتْ فى قلب الحى

وبقايا من أوهامٍ «لابْن أُبى»

.. يا هذا ذكرنا بالمجْد العربى

وبقايا من عصر رعوى

قُلْ: إنَّا حضَّرنَا العالم

قُلْ : إنَّا نِعْم الصُّحْبة

لا تنكرنا ، فَستُعْطى سَّلة عملات صعبة

فى عَصْرٍ مَعْروقٍ وشقى !

.. لما أن أظلمت الدُّنيا فى عينىّ

وذكرتُ بأنِّى لم أتسلَّق أشجار الْمدح

وبأنِّى معروضٌ فى خُطَّافِ للذّبح الدَّموى

وبأنَّ الخفْقةَ قد ضاعتْ من جنبَيّ

وبأني قد أصبحت بهذى الدنيا .. لا شيءْ

.. استدعَيْتُ الحزنَ الْباقى فى قلب العالم

وذكرتُ بأنى فى الأيام شقيْت

وعلى نَفْسى فى التِّيه بكيتْ

.. ثم بكيت !

– ٦ –

فى ليلته الأولى رقصوا حلقات

داروا دورات

نحروا جملين

هزُّوا سَيْفين

لكن فى ليْلته الأخرى

دبَّ المللُ القاسى فى أَقْصى النَّفس

والنظرةُ قد ضاقت فى العينينْ

والوجهُ الغضبان القاسى قد كُوِّر فى أَطرْاف الخدَّيْن

والسَّيف العاتى لم يتعَّلق فى جَنْبٍ من جَنْبَيْن

لكن أضْحى يَتَحرَّك فى الكلمات الصفراوية

والتشبيهات الرمزية

والأسماء المكنية

والباب الموصد في الْهُدبَيْن
قد لاقي بابًا في الشفَتَينْ !
.. لما أبصرتُ كسادي أضْحي في يومين
وبأني قد عُلِّقْتُ من الجفْنَيْن
وُلد البَيْن
كبر البين
ملئت نَفْسي غمًا لزجًا
أضحْي صدري حرَجًا، حرجَا
وشعرتُ بأني في الجبِّ الممتد هويتْ
وبأن الإخوة قد باعوني في مصرٍ للموت
ولمن قالت في مكْرٍ «هَيْت»
فتولأني خَوْفٌ ، وبكيتْ!

– ٧ –

وبطيئًا مدَّ الملل القاسي رجليْه في شهر بالطُّول
«وتقول الدنيا : إنّ الإنسانَ ملول
أبدًا نلقاه في خطْوه..
يَمْشي من غير وصول»
أصبحنا جُرْحًا يتَداخَلُ في جُرْح
رمحًا يتصادم في رمح

وتمشَّى فى نفْسى فَرْح

وشعرتُ بأنى مطروح فى أرْض النَّوْح

.. لكنّى لم أملكْ فى هذا اللَّيْل الوغد المطول

إلاَّ أنْ أنْظر فى ضعفى

وهوانى فى العْمر المهْجور المخذول

وأخيراً بَعْد البحث الموصول

ورياح فى الأيام تصول، تَجْول

.. أَلْقى شيئا حلواً غرداَ

أُفقًا من عطرٍ قد صعدا

عجبًا . عجبًا

قد كان قديمًا لا يُلْفى إلا نكداَ

إن قلتُ له قولا شَرداَ

إن قابلنى فى يوم .. داهمنى

إن سايرنى فى دَرْبٍ .. زاحمنى

إن جادلنى فى فكر .. خاصمنى

وأدار الوجْهَ ، وأنكرنى

فأُرى بَدَدا !

لم يهمز فى خاصرة الْفَرَس المرْسَل

لم يدفعْنى عند الْمدخَل

ماشدَّ ذراعى نحو مطار أبدا

ما طوّح بى لشراعٍ قد شردا
لم ينكرْ أبدًا أنى كنتُ «الولدا»
.. قد كانت لُعْبَتُه كجميع الآباء التُّعساء
أنْ يعبسَ فى غضبٍ بوجوه الأبناء الضُّعفاء
أن يرفع فى الصَّوت المترامى الأرجاء
ألاَّ يتبسَّم فى وجْهٍ قد عايشه باستعلاء
أو جالسه تحت الأضواء
.. لكن فى داخله أنْهارُ نقاء
بستانُ صفاء
أزهارُ بكاء
حُبٌّ إشْراقى مأمول
وكما كنا فى الليل نقول
عنه ، "حمّال حمول !!"
.. لكنّى لم أعرفْ عنه فى هذا اليوم الْقهر
فلقد لاقانى بوصاياه الْعَشرْ
وامتدَّت كفاهُ كى ينزع عن رأسى تاج الشوك
ويشق بحبٍّ عن صدرى فى أرض «هوازن»
كى يغدو قلْبى فى إشراق الزَّهرة
ويقول : أما تكْفى الهجرة ؟؟
لما صافانى هرولتُ فأيقظت الأطيار

وذكرتُ هدايا آخذها

لصغار أذكرهم وكبار

وفُصولاً جاءتْ بعد فصول

.. عجبًا لما لاحتْ – عنْ بعد – فى أهدابى أنوار البيت

وتأرْجحَ . مصباحٌ فى الذكرى – مفقود الزَّيت

وذكرت الطفل على عجل ، وسمعت الصوت

ألقيتُ على كفٍّ خدى وبكيت .. بكيت !

– ٨ –

وبيوم كالإشراقة فى عَيْنيه

كالفرحة تَغْزو تفَّاحًا فى خدَّيه

كالوردة وهى تدور .. تدورُ عليه

ألقيتُ بِعُمْرى بين يديه

قبَّلْتُ ترابًا ما غابا

وألوفًا من زهْر اللَّوتس

ووفاءٌ لم ييأسْ أبدًا من عُمْرٍ عاشَ سرابا

ويسارع كى ما يفتح لى بابا

ويغلِّق من خَلْفى بابا

وبحبٍّ صافحنى .. لكن ما عاتبنى

واسترسل فى قول ، لكن ما غاضبنى بين الأمواج

وبدأنا رحلتنا من جِذْر الأشياء

صِرْنا كفًّا فى كفٍّ ، قلبًا فى قَلْب ، إسراءً فى معراج

ما سرنا إلاّ سارتْ فى الخطو الأزهاء

ما دُرْنا إلاّ دارت بالشعر الأطيار

قد طوّفنا فى قلب الكون ، وفى سِرِّ الأسرار

حتى كانت تلك السدرة

حتّى «قاب القوْسَيْن»

بل أدنى من قاب القوسين !

– ٩ –

وتمرُّ الأيّام الباسمةُ الْفَرْحى

لتحطّ هْمومًا من قَلْبى ، لتزيل عن الجرْح الجرْحا

فالوردة صارتْ لى داراً ، والنَّجْمة أَضْحَتْ لى صرْحا

.. أيامٌ مثل نسيمات فَرحىَ تنساب لِوَاذا

لما أخذتْ منى حزْنى

وجواز مرورى لم أسأل فى السِّر «لماذا»

فلقد أحْسَسْتُ بأنّى قلب الأرض الأخضر

وبأنَّ الجِذْرَ يريد لكلِّ الأرض استَحواذا

وبأنى أصبحتُ بكلّ وجودى «منحازا»

.. لكنّى فى قلب الفرحة

أبْصَرْتُ غُرابًا – فى قُرْبى – قد حَطَّ وحاذى

وبأنَّ ببغدادٍ من يقرأُ أفكارى فى القرن الثالث

ويهلُّ على الأيام رَذاذَا

(مــا شــئت من بلدٍ دَانٍ منـازهُه

لكنَّ فـيــه قُـبـيــلاتٍ وأفـخــاذا

وُقْـحًـا تواصـوا بِتَـرْكِ الْبِـرِّ بينهم

تقـول ذا شـرُّهم . بـل ذاك ، بـل هذا)

وبأن رهين محابسه يشكو همًّا حذَّاذا

ليبلغنى صوتًا محزونًا أستاذا

(يا لهف نَفْسى على أنِّى رجعتُ إلى

أرْض الـشــام ولم أهلكْ بـبـغْــداذا)

إذا رأيتُ أُمـــــورًا لا تُـوافــــقُـنـى

قـلـتُ : الإيـابُ إلى الأوطان أدَّى ذا)

وعلى كلٍّ ما أقربَ هذا من قولٍ لأُميَّة

لما قال القول الأخَّاذا

(وكم فى الأرض من بلد ولكن

عليك لشقوتى كُنْتَ الملاذا[1]

---

(١) النص الأول من قصيدة أبى نواس: دع الشرَّ الذى نثرا، والثانى من لزوميات أبى العلا المعرى، والثالث لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز.

- ١٠ -

وأخيراً ما بين الفرح الباكى بين البذرة

والحزن المائل فى عمرى مثل الزَّهرة

لم أعرفْ أملى من يأسى

لم أعرفْ بَيْتى من رَمْسى

لم أعرفْ يَوْمى من أمسى

.. لم أعرف إلاَّ أنِّى قد ضيَّعْت المرْفأ والبيْت

لم أعرفْ إلاَّ أنِّى فى غَمْرة ما ألْقاه بكيْتَ

وبأنِّى فى حزن أتهيَّأ - واخوفى - للموت !

إلاَّ الشِّعر .. !

قالوا «تُحبُّ الوردَ ؟» قُلتُ ، أُحبُّهُ

وأعيشُهُ في العالم المتداعي

هو جنتي ، وحكايتي ، وقَصيدتي

وهو الذي كالْقَلبِ في الأَضْلاع

وهو الذي إنْ غابَ وَجْهُ مُحَدِّثي

كان امتدادَ مَواسمي ، ومراعي ،

.. صَمَتُوا قليلاً ، ثمَّ قد أبْصَرتُهم

يتهامسُون بَخفْيةٍ ، وخِداع

نادوا مُمَرِّضَةً: سِيبْقى فترةً

في مَعْزلٍ ، وعليكِ بالإسراع

ومَضى يُحَدِّثني كبيرهُم الذي

يُجْرى على الأوْراقِ صَوْتَ يراع

«.. النُّورَ هَدَّئْهُ قليــــلا كى يُرى

كـــالحلْم فى شَـــبَّـــابَةٍ للرَّاعى

والأكْلَ والحلْوى فـــلا تقـــربْهُـــمـــا

وجـــمـــيع مـــا فى الكأس من إيقَـــاع

لا وَقْتَ لْلِمُـــتَع الشَّـــهـــيَـــة بَيْنمـــا

ذَبُلت بِنفـــسكَ فَـــرْحَـــةُ الإمـــتـــاع

إنَّا نَـشُـــدُّ الموتَ عنكَ بِعَـــزْمَـــةٍ

كـى مـــا تُـواصِـل رِحْـلةَ الإبْـداع !»

***

بَيْـنا أُفكِّرُ فى الذى أُســمـعْـتُـه

والضِّـــيقُ يَجْـــذبُنى لِقَـــاعِ القـــاع

فُـــزِّعتُ من قَـــوْلٍ يَقُـــولُ بَغَـــضْـبَـــةٍ

«والشـعـر ؟ هذا الشـعـرُ صَـوْتَ النَّاعى

وهو الخطى للمَـوت ، فـاهْرُبْ نـاجـيًـا

بِبـــقَّـــيـــةٍ من عُـــمـــرِكَ المُرْتَاعِ !»

ثم اسْـــتـــداروا خـــارجين كـــأنَّهُـم

نُـذُرُ المنيِّـــةِ ، أَوْ قـطيـعُ أَفـــاعِ

بَيْنا أُصِـيحُ وفى فـؤادى جَـهْـشَـةٌ

هـزَّت فـــؤادَ النَّاس بالأوْجَـــاعِ

«يا قــوم إلاَّ الشــعــر ، فــهــو سَــفــينتى

وعلى ذُراها قـــــد رَفَــــعْتُ شـــــراعى

وهو الحــيــاةُ جــمــيلةٌ ، ومــضــيــئــةً

ومـــتى أُفـــارِقُـــهــــا يكونُ وداعى !»

غـــضــبـــوا ، وشـــدُّوا البـــابَ ، ثم رأيْتُنى

والمــــوت فـــى المــــرآة دون قــــنـــــاع !!

(الكويت ١٩٨٩/٢/٢٠)

مخاطرة

قلت : ماذا لو خَرَجْتُ الآن من جسْمى الْعليل
ذلك المنْسَابَ فى هذا السَّرير المْستحيل
فهو قد صارَ ضعيفًا ، مُسْتَباحَا
وهو قد صار أنينًا وجراحَا ؟

***

قلت : أجْفُوه لأَعْدو بين ورده
كلَّما مدّت جَناحَا
أو أرانى لابسًا جسْمَ الفراشة
حينما تَجْتازُ ساحَا
أوْ أَرانى فى غَزال تَحْت دوحه
مدَّ عُنْقًا ، واسْتراحَا !

***

قلتُ أعدو بين ذئبين استراحَا
غير أنّى خفْتُ من بطْشِهما عند الحلول

وتولأنى الذهول

وتوقَّعْت الصياحَا

فَتَعجَّلت الرَّواحَا !

***

ثم إنى حينما عُدْتُ حزينًا لسريرى

لم أجدْ جسْمي المُسَجَّى ، أين راحَا ؟

يا ترى ماذا سيفعل ؟

كلٌ من يَبْغى النُّواحَا

كلٌ من أمسك سِراً

فى عَياءٍ ، ثم باحَا

أيْها الموغِلُ فى ليلِ المنايا

عم صباحا

عم صباحا

من ديوان

الغربة والاغتراب والشعر

١٩٩٨

القلب الأخضر ..(*)

لا تُبعدْ وجهكَ عنْ وجْهى الأسْمَرْ

لا تبحث عن رَمْزٍ فى قلْب الأسطُر

أو تنكِرنى إن يذكرْ إنسانٌ من اسْمى حرفينْ

وتُرى مَرْفوعَ الحاجبِ والكتِفيْن :

وسؤال لايتجاسر أن يمشى فوق الشفتين

منْ أىِّ بلادٍ قَدْ بدأ الرحلة ؟

وبأى لغاتِ الدُّنيا سَيحدثُنا هذى الليلة ؟

هو لا يْدرى إلاَّ إيقاعَ الفِطْرة

هذا الصوتُ الصَّحراوىُّ اليابسُ لا يزْهرُ شىء فيه

هذا التَّشبيهُ المَحْسوسُ العابِس

لا يقدرُ أن يمشى بالمعْنى فى هذا التِّيه

(*) أعدت لمهرجان الشعر العالمى فى الفلبين ١٩٨٥ .

فإذا جاءت قافيةٌ كالوردة فى الغُصْن المثمر
جاءت كصريرِ الأسنان المُنكرْ ! !

***

ماذا يُمكنُ أن تُعطى نَخْلة ؟
ماذا يُعطى جملٌ هائج ؟
ماذا يعطى حَرْفُ الضَّاد الأَبْجَرْ ؟
ماذا يعطى وَجْهٌ مقهور ؟
أو مئذنةٌ لا يسمعها إلا إنسان مَحْنيُّ العمر ، ومُجْبَرْ
فإذا ما عافاه الله غدا إنسانًا يلْقى فى الناسِ الكرب . .
ويَقْهَر ؟

***

يا هذا . .
لا تقتلْنى بوكالاتِ الأنباء
وبأجهزةِ الإعْلام الصارخةِ الأصْداء
وشعارِ الكاتب مَضْموم الرِّجلين على استِخذاء
. . تلك الأخبار تُسِيءُ إلى أيامى وتقول :
العالمُ لمْ يزهرْ أبدًا فى عالمك الصَّحراوىّ الأصفرْ
فالإِخوةُ لا تغتالُ سوى الإِخوة

- كلٌّ يُشوَى فى سفُّود الآخر

انظرْ هذا اللحمَ المتناثر من قلْب الشاعر

والقسوةَ تنْبتُ فى لحْم القسْوة

والبسمةَ مثل الحنظلة المُرَّة

والعابدَ لا يطْوى أطرافَ السّجادة فى إطراق

حتى يغدو - يا للقسْوة -

مثل الحجاج المشتاق

وتجىء مواسمُ قَطفِ الأعناق !

فامسكْ رأسك حتًى لا تغدو نِصْفين

وتحسَّس ذَاتكَ حتى لا تغْدو ذاتَيْن

***

لا تظلمْ هابيلاً يا قابيل

فلقد أضحى مقتولاً فى الماضى بالصَّحراء

- لما كانت دنيانا بِكْراً

وأبونا ما زالت فيه ريحُ الجنة

واليوم تعيدُ القتلَ وكالات هَوْجاء

صحفٌ بَرَعَتْ فى تقديم اللحم الأحمر

قَمر يتجسَّس من أطراف سماء

صور تؤخذ فى خبثٍ من كلّ الأنحاء
من كلّ زوايا المخْفَر !

***

ما زال بقُرب الجثّةِ صوتُ غراب
صوتٌ قاسٍ يدعو للدَّفن المُرتْاب ..
حتّى لا تغدو الدنيا مثل الغابة
وذئابًا تَسْتَلْقى فى أحضانِ ذئاب
.. لكن الجثة فى هذى المرة يا قابيل
نَبتَتْ فى داخِلها زَهرة
وَستَكْبرُ تلك الزهرة
وستشرقُ تلك الزهرة !
حتى تغدو بُستانًا يملأُ وجْهَ الأرض
– فى كلٍّ خطوط الطُّول وكلٍّ خطوط العرض –
فالدّنيا صارت تُحْرَسُ بالشّعر الأخضر
بالقلب الأخضر !!

***

مرثية إنسان طيب

من ينصف إنسانًا مظلومًا فى هذى الأرض المْطُفأة الأنوار

الميتةِ الأَقْدار

الغائرةِ الآبار

فلقد ربُطت كفَّاهُ من خَلْفه

فِى قُرْبِ جدار

وتراءى فى الزىِ المشئومِ الأُحمر

وعلى العينين الطيبتَين سِتارٌ .. أىُّ ستار؟

***

لما ثُقبَتْ تفاحة قلبه

والرأسُ على عجل قدْ مالَ ودارْ

والطلقةُ ما زالت تَسْرى فى الْعُمْر المنهار

والشرطةُ فى فرح رَاحتْ تلْهو بالأزْرار

.. قد صارتْ هذى الدُّنيا تهوى فى غير قرار

ولقد رَحلَتْ كل الطَّيبة

ولقد بدأت أوجاعُ الأَسفار!

***

قد تُرك وحيداً في موته

حتى من عاش كعصفورٍ يَشدْو حوله

لقطَ العينَين اللؤلؤتين ، وطَار

.. حتى من كان كظلٍّ يمشي من خلفه

لم يُغْمِضْ عينيهِ ، بل هزَّ الرأسَ ، وسار

.. حتى من غنَّى في عينيها بالشّعْر المُخْمْلَ

دسَّت كتفْيها المُمْتلئين جمالاً في صدْر الجار

من غير حوار !!

العالم - يا ويحي - يُذْبَح في الأطيار

فلقد شطرَ النصفيْن ، وقَطَّع في الأوتار

لكن لما أن دُحرج في كثبان الوادي ، ماجَتْ خُضْرة

قامتْ أشجار

باحتْ عن قاتلها الأسرار

قال اللبلابُ : غدا آتيكم بالأخْبار!

***

من يصحبنى كىْ نحصد فى هذا الموسم
بَعْضَ الأثمار
بَعْضَ الأقمار
أترانا نلْقى هذا المظلومَ الغائب
- هذا المدفونَ بسيقانِ الأزهار
هذا المتدثّرَ بالنُّوار
هذا المترامى فى الأنهار -
فالعودة قد صارتْ وهما
لكنّا سوف نراه بالطعم المرِّ الثرثار
فى شىء يأخذ شكل القَهْر ، وشىء يُشبهُ صوت العار
فلقد أودعَ فينا شيئا من حَسْرة
لفْحًا من نار !

***

لن يتركنا هذا الشىءُ المهزومُ الغدار
فى ليل قاسٍ ، أو بنهارْ

***

الغراب

كنتُ أَلْقاكَ لماما

فى الحياةِ العربية

فأشيحُ الوجهَ - والقلْبَ - عن الوجْه الكئيب

والخَوافى الملتويَّةْ

وأحس الغربة السَّوداءَ ، والبُغْضَ المماطِل

وبأنِّى سَوف أُنْفَى من بلادى ، والسنابل

ومن النظرةِ فى المرآة بالوجْهِ المقابل

ومن الأطفال تَرْنُو ، وتُسائل

- غير أنى - والليالى حول عمرى دائراتٌ كالسلاسل

كنتُ ألقيك بعيداً ... وأناضل ! !

***

أنتَ لم تهبطْ بيوم بين أشجارى العتيةْ

أنتَ لم تنظرْ بوجهٍ ذات يوم فى مياهى

أنت لم تَنْقُرْ ثمارى ، وتُجادل

فى قضايا دائرية

.. كلما يأتى سؤال عن سؤال فى قضيّةْ

قُلتَ : إنَّ الكونَ لونْى ، وهو صوتى ، وهو إشهار الهوية

وهو فى القَفْزِ الْعنيد المتفائل

والصُّراخِ المتطَاول !

- كلُّ هذا كان والعمرُ يُضىءُ الحلكا

والبحارُ السبعُ دربى

والجبالُ المُتَّكا

وأنا - والشمس دارى - لست أدرى ما الْبُكا

.. حينما قد كانت الدنيا حكايا قُزَحية

وأغانى لؤلؤية

.. حينما قد كان لى شدو البلابل

حينما قد كنت ما زلتُ أحاول !

***

غير أنِّى اليوم بعد أن نَقَّرتِ الشمسُ زجاجى

صِرْتَ فى وجهى - وسَمْعى - ألف وجه يتماثل

كنتَ تنمو ، ثم تنمُو ، ثم تنمو

.. قد سَدَدْتَ الأُفق حتى لم يعد للأُفق طائل

قد دخلتَ البيت فى عَدْوٍ بغيضٍ مُتشائل

قد فتحتَ البابَ فى خَطْوٍ بليدٍ متثاقل

قد تسلّلْتُ بنفسي .. ثم أخرجت لسانًا نِصفَ مائل !

وأمامى قد جلست

وبقُربى قد صَرَخْت

.. فجرى الياقوتُ من قلبى المصاوِل

آه يا قلبى المصاول !!

***

قد جذبتُ الآن أنفاسى القلائل

– والرماح السود من حولى أصبحن نواهل –

غير أنى رغم أن العمر زائل

وعلى البعد رحيلٌ للقبائل

وخيامٌ تتهاوىَ ، وخيام تتمايل

وحصانٌ لم يعدْ يصهلُ فى قَلْب المحْافل

وبقَايا النخل قد أضْحَتْ على عُمْرى تُساوم ..

وتخاتل !

ووليُّ الثأر أَغْفَى خَلف جُدران المنازل

.. غير أنى رغم هذا

سوف أبقى لأُقَاتل

سوف أبقى – يا غراب البين وحدى –

وأُقاتل !!

***



الوطن

عَجَبتْ وَقَد حَدَّثْتُها عن ظلمهِ　　متتابعًا في كلِّ يومٍ في الزَّمنْ

فاليُتمْ حَطَّ على الحياة مُبكراً　　والعيشُ كان مُقسَّمًا بين الشَّجن

والعمرُ كان قصيدةً موءودة　　كلُّ الحُروف بوقْعها كانت تَئِن

لا خطْوَ إلاَّ تابعتْهُ عَثْرَة　　لا عُضوَ إلاَّ فيه سَهْمٌ قد سَكنْ

فالأهلُ كانوا عقربًا في قريةٍ　　والصَّحْبُ كانوا كالثَّعالب في المُدن

لم أعرفِ الأيامَ إلا حَرْبَةً　　تَزداد إيغالاً ، وَحفراً في البَدَن

هو وردة فجريةٌ لكنَّه　　قد غزَّ شوكته بقلبٍ قد وهن

لولاه ما كانتْ حياتي مُرَّة　　ولما جَرتْ في الهوْل أشرْعةُ السفن

جزَعت لحزنيِ ثم قالت : إنه　　أعدى عدوك قلت : بل حب سكن

فهو التنعم في الجحيم وبسمة　　في الحزن وهو الوهم من بين الوسن

لكنها عجبت وسالت دمعة　　من أجل ما لاقِتُ من هذى المحِن

واستدركتْ : من ذا عَنيتَ بمن طغى　　واشتدَّ في طغيانه قلت : الوطن

وداعًا .. عُشَّ الهوى

رَفرَفتُ كالطَّير مَهمُومًا على بلدى ... وعدتُ أصْغي لصوت قال : يا ولدى

فقد ظَلَلَتُ بعيدًا لم تفارقنى ... أفراحُ مصْر ولا إشراقُها الأبدى

والنيلُ فيها تَوالى باسمًا غردًا ... حَول السنابل تَمْشي مَشى مَطَّرد

وفَيْضُ نُورٍ من التاريخ أذكرُه ... تَكادُ تَمتدُّ أشواقى لهُ ويدى

يا للأغاريد تَمشْي بَينْ ذاكرتى ... والزهرُ مُنعقدًا، أو غيَر مُنعْقد

وقلتُ : أحلُمُ فى بُعْدى ببَهجتها ... وبالعصافير قد طارتْ بلا عَدد

وبالصِّغار أراهُمْ، ثم أهجرهم ... وبالكبار وقد أضحوا بغير غد

.. الله للطَّير قبل الفْجرِ مبتسمًا ... وللثمارِ التى هَمَّتْ، ولمَ تكد

وللمواجع تنساني، وتذكرنى ... فللمواجدِ ما للْحُبِّ من أمد !

***

وقيل «عَوْدٌ» فَعدنا فى جحافلنا ... مُستْكرَهينَ بلا مالٍ، ولاَ سَندِ

لكنَّ عُش الهوى قد راحَ يُنكرنى ... ومن يودُّ بأنى كنتُ لمْ أعدِ

ومن تَربَّى بفكرى، لايفارقنى ... قد صارَ إمَّا يَرانيِ طالعًا .. يَحدِ

فالجذْر أنكرنى، والغصْنُ خاصَمنى ... وقيل ما ظلَّ فى روحى وفى خلدى

هاجرتَ والشمس فوق الأرض مشرقة ... وعُدْتَ والليل يُمشّى مشيِ مُضطهدِ

فليس للوافدِ الآتي لدوْحتنا ... شيء من الظل، أو شيء من الرَّغدِ

الماءُ من حَقِّ منْ عاشُوا بِضَفَّتِه ... فارجعْ عن الماء - يا هذا - ولا تردِ،

فقلت: أرجع؟ قيل: ارجعْ بلا أسفٍ ... فنحنُ من عُرِفُوا بالصَّبْرِ والجلَدِ

إن لم يكن في مساء السَّبْت مُرتحل ... فارجعْ قُبيل النَّدَى في تكعيبة الأحدِ!

لما عَزمتُ رأيتُ الحزنَ يْدفَعني ... ويجعلُ الخَطْو منِّي غَيرْ متئدِ

لكن تراهُ إذا ما الموتُ راوغني ... وظَل يجثُم خلْفَ العَمر كالأسدِ

أظلّ أشكو طوال الموت في ألمٍ ... لكيْ يعود إلى عُشٍّ الْهوى جَسدي

وقد يظلُّ على روحي، وملء فمي ... بيت من الشِّعر ريّان النَّقاء، ندى

«إن يُضْجِعُوها يُراحُوها بمضْجَعها ... وكان مضجعُها منِّي على كبدي!!»

(١٩٩٠/١١/٣)

الورد والإنسان

طُرِحْتُ على سَريرى فى عياءٍ … كأنى قدْ خَرَجْتُ من الوجود

وداخلنى خيال ظلٌّ ينمو … ويرسم صورة الرجل الفقيد

ومن سيسيرُ من خلفى حزينًا … ومن سيطيرُ فى خطْوٍ سعيد

ومن سيقول : عاش العمرَ وثبًا … ومن سيقول : أوْغل فى الجُحود

ولكن بالمَصحِّ وجدتُ وردًا … يُغرِّدُ، أو يرفرفُ للصعود

فداخلنى التعجبُ من حياةٍ … ومن موتٍ على نَفْس الصعيد

فقلت - ولم يزل للموت نبضٌ … يُسَقْسِق عند أطراف الوريد -

هو الإنسان دمْع ، ثم كَدْح … وقَهْرٌ ، ثم صمت فى اللحود

ألا يا ليتنى قد كنتُ وردًا … على غُصْنٍ ببستان فريد

تقول لى الطُيورُ هناك شعرًا … ويدفعنى العبيرُ إلى الخلود

ودار الوقت ثم وجدت نفسى … على أمل وفى بأس شديد

وأنى أستديرُ بلا قيودٍ … وأجْرى ثم أقفز كالوليد

وأنسى أننى قد كنتُ يومًا … أودّ بأن أكون من الورود

وأن رسالة للموتِ طارت … على لهَفٍ وحطّت فى بريدى

فقـرب السُّور كـان الورْدُ يذوى ويهـوى فى شـحـوبٍ، ثـم يُـودى

وأن يـداً تجـــمِّـــعـــه ببطء وتلْـقـيـه إلى قـبـرٍ بعـيـد . . !

. . ولكنِّى هنا فـجـر جـديدُ تَداعى ، ثم أشـرق من جـديد

وأنى نخلة صـعـدتْ ببطء وجـاوزت السَّمـاء بلا حـدود

وأنىَّ سـوف أبقَى بعـد مـوتٍ يموتُ ... ولن يُرىَ موتُ القصيد !!!!

***

المؤلف فى سطور

د. عبده بدوى (١٩٢٧-٢٠٠٥)

* ولد فى ١٩٢٧/٧/٥ بقرية الدفراوى محافظة البحيرة، تخرج فى كلية دار العلوم ١٩٥٢ وحصل منها على الماجستير عن الشعر فى السودان والدكتوراه ١٩٦٩ عن «الشعراء السود وخصائصهم فى الشعر العربى» .

* عمل فى الصحافة الثقافية كمدير لتحرير مجلة نهضة أفريقيا والرسالة وترأس تحرير مجلة الشعر المصرية عام ١٩٧٦ لمدة اثنى عشر عاما .

* عمل أستاذاً للدراسات الأدبية والنقد فى جامعات عين شمس وأم درمان والإمارات والكويت .

* نال جائزة الدولة فى الشعر عام ١٩٧٦ ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٧٧ ، وجائزة هيئة التدريس بجامعة عين شمس ١٩٧٨ عن كتابه (أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر العربى) ، وجائزة مؤسسة يمانى الثقافية فى فرع الشعر عام ١٩٩٧ عن ديوان دقات فوق الليل .

* له سبعة كتب عن أفريقيا ، وما يزيد عن خمسة وعشرين كتابا فى مجالات الأدب والدراسات النقدية .

* مثّل مصر فى العديد من المهرجانات الثقافية عربياً وعالمياً .

* دواوينه الشعرية : (المنتصر ١٩٥٨ ، باقة نور ١٩٦٠ ، لا مكان للقمر ١٩٦٦، كلمات غضبى ١٩٦٦ ، الحب والموت ١٩٦٨، السيف والوردة ١٩٧٥، دقات فوق الليل ١٩٧٧ ، الجرح الأخير ١٩٨٦ هجرة شاعر ١٩٩٨ ، الغربة والاغتراب والشعر ١٩٩٨، شاهد عيان ١٩٩٩) .

بالإضافة إلى أوبر (الأرض العالية) أول أوبرا عربية عن أفريقيا ، (ثم يخضر الشجر - ثلاث مسرحيات قصيرة ، محمد (قصيد سيمفونى) .

* من أبرز من كتبوا عن رحلته الشعرية : د. محمد مندور ، فتحى رضوان ، د. زكى نجيب محمود ، نازك الملائكة ، د. أحمد كمال زكى ، مصطفى عبد اللطيف السحرتى.

المراجعة اللغوية : آمال الديب

الإشراف الفني : أنجي جورج

لا شىء له معنًى أبداً

فى هذا العالَم لا شىء

لا شىء له ظل أبداً

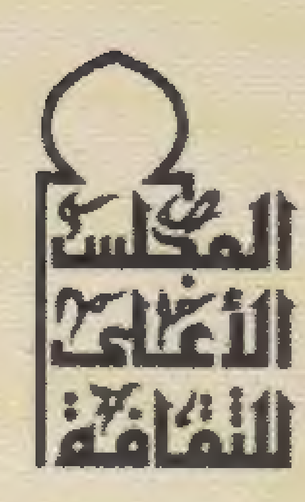
قد يلقى بعض الفىء

فالعالم يحكم نبضته

الخوفُ الأصفر والقىء

والوهم وشىءٌ مجهولٌ

لم يخمشه أبداً ضوء



الغلاف / أنجى جورج